اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٤٨٣]

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

يعقوب الشارونى

تنمية عادة القراءة عند الأطفال

الطبعة الرابعة



دار المعارف



أحلام شهرزاد

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين



دار المعارف بمصر

أحلام شهرزاد ـ العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

مقدّمة

الطفل والقراءة

أصبحت القراءة فى نظر المدنية الحديثة ، لها نفس الأهمية الحيوية التى للمشى أو النظر أو الكلام . والذى يقرأ ، ويفهم ما يقرأ فى سرعة كبيرة ، يمكنه أن ينهى من الأعمال أضعاف ما ينهيه القارئ العادى .

والقراءة هى أساس التعلُّم بمعناه المعروف ، فالشخص الذى يقرأ ، شخص نامٍ وقادر على استمرار النمو ، فالقراءة مظهر هام من مظاهر الشخصية ، وهى عامل هام من عوامل نموها .

وبالإضافة إلى هذا ، فالقراءة مفتاح أساسى من مفاتيح المعرفة ، إن لم يكن أهمها جميعًا ، تفتح أمام الإنسان آفاقاً واسعة شاسعة .

* * *

وإذا كنا نعانى فى مجتمعاتنا العربية من ظاهرة انصراف الراشدين عن القراءة

بوجه عام ، وعن القراءة الجادة المنتجة بوجه خاص ، وعن قراءة المواد العلمية بوجه أخص ، فإن ذلك يرجع ، فى معظم أسبابه ، إلى مرحلة الطفولة ، التى لم يجد فيها أطفالنا راشدين يكونون قدوة لهم فى الاهتمام بالقراءة ، واحترام الكتاب ، ومد يد العون لهم فى مراحل القراءة الأولى . ولم يجدوا فيها مكتبات قريبة وكثيرة ومفتوحة ، تجعل العثور على الكتاب الذى يناسب اهتمام كل طفل أمرًا يسيرًا ، ولم يجدوا الكتب الجميلة المشوقة المناسبة فى لغتها وموضوعاتها لمختلف الأعمار ، بحيث تجعل القراءة عملية ممتعة محببة ، وتصبح بالتالى عادة متأصلة تصاحب الإنسان فى مختلف مراحل عمره .

لذلك لابد أن تتضافر جهود المجتمع كله ، مع أجهزة النشر والإعلام والتربية والثقافة ، ليس فقط لتوفير الكتب والمكتبات للأطفال ، بل أيضًا لتنبيه الراشدين إلى دورهم الأساسى فى تكوين عادة القراءة المنتجة المفيدة لدى الأطفال .

فالطفل فى العصر الحديث يبدأ تعلُّم القراءة منذ طفولته الأولى ، لكنه لا يتعلمها منذ سنواته الأولى بالصورة التى نعرفها ، إنما يستعد لها . فكما أن الطفل لا يتعلم الجرى إلاّ إذا استعد له بالمشى ، ولا يتعلم المشى إلا إذا تكون عنده الاستعداد لتعلمه ، فإنه لا يتعلم القراءة إلاّ إذا تكون عنده الاستعداد لتعلمها .

ومن هنا كان الاهتمام ضروريًّا بكتاب الطفل ، الذى يناسب مراحل العمر المختلفة ، حتى ينشأ الطفل مُحبًّا للكتاب ، ثم مُقبلا على القراءة عندما يتعلمها .

* * *

إن هناك مَنْ يتصور أن الطفل لا حاجة به إلى الكتاب إلا بعد دخوله المدرسة وتعلُّمه القراءة . وما أشد خطأ هذا الاعتقاد ، فالطفل الذى نتركه بغير كتاب حتى سن المدرسة ، سيواجه صعوبات كثيرة فى علاقته بالكتاب .

فالأطفال ، قبل أن يبلغوا سن السادسة بوقت طويل ، يجب أن يكونوا قد

اكتسبوا خبرات متنوعة فى علاقاتهم بالكتب والمطبوعات المختلفة ، وذلك من خلال بيئتهم الأولى ، وهى الأسرة .

فالأطفال عندما يولدون فى بيئة تشجع على القراءة ، فيجدون حولهم كثيرًا من الكتب الخاصة بهم ، والتى تقترب من الألعاب ، ويجدون الوالدين والراشدين يقرءون ، وينشئون فى منزل به مكتبة لحفظ الكتب ، ويشاهدون الكبار يعاملون الكتب بعناية واهتمام ، مع تخصيص مكان يحفظ فيه الأطفال كتبهم الخاصة بهم ، فى مثل هذه البيئة ، تنمو قدرة الأطفال على القراءة بنفس الطريقة التى تنمو بها قدرتهم على الكلام .

إن مثل هؤلاء الأطفال ، عندما يذهبون إلى المدرسة ، وتبدأ فترة تعلمهم القراءة بالمعنى المدرسى ، سيجدون لديهم قائمة كبيرة من الأفكار والمدركات والاتجاهات النفسية التى كونوها نحو القراءة ، فيقبلون فى سعادة ورغبة على المطالعة ، كما يكونون قد اكتسبوا كثيرًا من الخبرات التى تعينهم على فهم ما يقرءون .

إن هناك دافعًا يدفع الأطفال إلى الاهتمام بالكتب . ويبدأ هذا الدافع فى مرحلة مبكرة ، بعد اكتمال العام الأول من عمر الطفل ، ثم يستمر إلى أن يتعرف الأطفال على معانى الرموز المكتوبة فى سن السادسة . وعلينا أن نستثمر هذا الدافع ، بتقديم الكتب المناسبة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل .

* * *

ففى مرحلة ما قبل القراءة ، تقترب الكتب من الألعاب ، وتساهم الحواس المختلفة فى التعرف عليها ، فهناك الكتب المصنوعة من القماش أو الورق المقوى ، حتى تقاوم عبث الأطفال وطريقة تعاملهم العنيفة مع الأشياء . وهناك كتب فيها أجزاء تتحرك أو أجزاء تتجسم إذا فتحت الصفحات ، وكتب تصدر عن أغلفتها

أصوات موسيقية إذا ضغطنا عليها .

* * *

وتتميز كتب الأطفال باعتمادها الرئيسى على الرسوم البسيطة الملونة الواضحة ، التى تقوم بدور أساسى فى جذب اهتمام الطفل . فإذا كانت كتب الراشدين تعتمد على الكلمة ، فإن الصور والرسوم تقوم بالدور الرئيسى والأساسى فى كتب الأطفال ، خاصة صغار السن منهم .

ذلك أن حصيلة الأطفال اللغوية لا تمكنهم من فهم كل الموضوعات التى نقدمها إليهم . هذا بالإضافة إلى اعتمادهم على البصر فى التعرف على العالم المحيط بهم ، لذلك يجب أن تعتمد كتبهم اعتمادًا كبيرًا على الصور والرسوم ، مع مراعاة أسلوب الرسم الذى يناسب كل مرحلة سنية .

* * *

كذلك فإن الأسلوب القصصى هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها كل ما نريد تقديمه للأطفال ، سواء كان ذلك قيمًا دينية أو أخلاقية ، معلومات علمية أو جغرافية أو تاريخية ، توجيهات سلوكية أو اجتماعية .

إن حب الأطفال للقصص والحكايات ، أمر معروف لا يشذ عنه طفل ، فالأسلوب القصصى بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث ، يمكن أن يكون الوعاء الذى نصب فيه ما نريد تقديمه للأطفال كافة .

* * *

كذلك فإن لكل مرحلة من مراحل عمر الطفل مجموعة من الكلمات يكون الطفل قد اكتسبها وتعلمها ، ثم تزداد حصيلته بانتقاله من مرحلة إلى أخرى ، ولن يستطيع الطفل الإقبال على قراءة ما يوجه إليه من كتب ، إلا إذا كانت مكتوبة فى حدود الحصيلة اللغوية للطفل الذى يقرأ الكتاب ، وإلا وجد القراءة عملية صعبة

غير مفهومة ، مما يؤدى به إلى الانصراف عن القراءة ، لما يحس به من إحباط ومشقة .

ولعل من أهم ما يصادفنا عندما نتحدث عن الطفل والقراءة ، هو افتقادنا لما نسميه « قاموس الأطفال » . فلا يوجد حتى الآن ، على امتداد الوطن العربى ، أية مؤشرات تعاون كاتب الأطفال على اختيار الكلمات والألفاظ المناسبة للسن التى يكتب لها .

وإلى أن يوجد لدينا ما نسميه « قاموس الطفل » ، فإن على مَنْ يكتب للأطفال أن يختار الكلمات المناسبة لسن الأطفال الذين يكتب لهم . فلابد له أن يكون صاحب خبرة فى القاموس اللغوى الذى يستخدمه هؤلاء الأطفال ، وأن يكون عارفاً بالألفاظ المتداولة بينهم ، ومدلولها عندهم ، وأن يستخدم كلما أمكن ، الكلمات ذات المضمون المادى الملموس أكثر من الكلمات ذات المعنى المعنوى ، فيختار من الألفاظ ما يثير المعانى الحسية المتعلقة بالبصر والسمع والحركة واللمس والذوق والشم ، ذلك أن الأطفال يتعرفون على العالم المحيط بهم بحواسهم ، أكثر مما يتعرفون عليه بمجرد الكلمات .

سلوك الأطفال نحو الكتب

ينقسم سلوك الأطفال نحو الكتاب ، فى مرحلة ما قبل القراءة ، إلى عدة مراحل . ويتوقف العمر الذى تظهر فيه خصائص كل مرحلة ، ومعدل سرعة هذا الظهور ، على اهتمامات الطفل ، وقدراته الطبيعية ، وعلى الكتب التى توجد فى محيطه ، كما يتوقف على البالغين الذين لديهم من الصبر والأناة ما يجعلهم يتحدثون إليه عما فى تلك الكتب ، أو يقرءون له فيها .

مرحلة التناول باليد :

فى العام الأول من حياة الطفل ، يُظهر الصغير اهتمامًا عابرًا بالكتب . إنه فى هذه السن ينظر إلى الكتاب كما ينظر إلى أى شىء حوله : يضعه فى الفم ، ويمسكه باليد ، ويسقطه على الأرض ، وينتزع الورق ويمزقه ، ويصغى لصوت الورق

يتثنى ويتمزق ، ويتأمل ما يحدث لقطعة الورق عندما يضغط عليها بيديه الصغريتين . إنه يكتسب بهذا خبرة أولية فى عالم الورق والكتب .

ولإتاحة الفرصة أمام الطفل لاكتساب هذه الخبرة ، يمكن أن نضع بين يديه أوراقًا من مجلات قديمة ، يحسن أن تحتوى على صور ملونة . إن صورة براقة الألوان قد تجذب انتباه الطفل فى هذه السن ، فيمنحها شيئًا من اهتمامه ، لكن لا يسهل عليه فى هذه المرحلة المبكرة أن يتعرف حتى على صور الأشياء البسيطة المألوفة ، ولا تثير الحروف أى شىء من التفاته .

مرحلة الإشارة إلى الصور :

ومن بداية الشهر الخامس عشر من عمر الطفل ، ينشأ لدى الصغير اهتمام شديد بصور الكتب . وتقوم الأم بدور رئيسى فى هذه المرحلة ، فتقوم بتقليب صفحات الكتاب فى حين يتفرج الطفل عليها . وقد يهتم الطفل هو نفسه بعملية التقليب ، لكنه لن يستطيع أن يقلب صفحة بعد أخرى ، بل يعود إلى عملية التمزيق .

وأفضل الكتب لهذه السن هى المصنوعة من صحائف من القماش ، أو أى مادة تقوى على تحمل ما يوجهه الطفل إليها من ضرب ولكم وعض ، كذلك الكتب التى تقترب فى شكلها من الألعاب ، كأن تكون لها عجلات ، أو بها أجزاء تتحرك .

وكتب هذه المرحلة لا تحتوى إلا على صور مكبرة ، ملونة بألوان زاهية ، للأشياء البسيطة المألوفة فى محيط الطفل ، من حيوانات وألعاب وأدوات الاستخدام اليومى ، مثل الكرة أو القط أو المقعد أو الملعقة .

وسوف يستمتع الطفل بالتطلع إلى تلك الصور ، ويربطها بخبراته القليلة ،

فالملعقة قد يطلق عليها اللفظ الذى يستخدمه فى الإشارة إلى الطعام ، مثل « مم » . والقطة قد يسميها « بس » ، وذلك عندما يصل إلى المرحلة التى يستطيع فيها نطق تلك المقاطع .

وسيتذوق الطفل أى صوت تحدثه أمه مما يناسب تلك الصور ، مثل تقليد أصوات الطيور أو الحيوانات ، وسوف يحاول أن يقلد بحماس ما يسمعه من أمه من أصوات . وعلى الأم أن تحدث الطفل عن الصور بكلمات بسيطة ، وعبارات مختصرة ، مع تجنب أن تتحدث معه بطريقة نطق صغار الأطفال للكلمات ، وذلك حتى يعتاد الصغير النطق الصحيح للكلمات والعبارات ، مما يساعده فى سنواته المقبلة ، على سرعة إتقان التعبير عن نفسه بالكلمات الصحيحة ، ينطقها بطريقة سليمة .

ومتى استطاع الطفل أن ينطق بعض الكلمات ، فيجب تشجيعه لكى يكررها . وفى هذه المرحلة ، أيضًا ، لا تثير الحروف المكتوبة التفات الطفل .

مرحلة تسمية الأشياء :

ومن بداية الشهر الثامن عشر ، يبدأ الطفل فى استعمال كلمات نابعة من نفسه مع الصور ، وهذا يعاونه على زيادة حصيلته اللغوية . إنه يشير إلى الصور ويسميها : هذا قط . . هذه زرافة .

إنه يسأل الكبار عن الصور : « ما هذا ؟ » أى أن الكتب بدأت تصبح لديه وسيلة لاكتساب المعلومات . كذلك يقلد الطفل أصوات الحيوانات التى يرى صورها .

وفى هذه المرحلة ، يمكن أن يبدأ الطفل فى إدراك الجهة التى تتجه إليها الصور ، فلا يضعها أمامه مقلوبة . كما يأخذ فى تعلم ضرورة المحافظة على الكتاب

وعدم تمزيق صفحاته . ويلاحظ أن تكوين عادات التعامل مع الكتاب بأسلوب يحافظ عليه ، هى أمور يقتدى فيها الأطفال بمن يحيط بهم من الراشدين ، ولا يتعلمونها إذا اتبعنا معهم أسلوب النصائح والتوجيهات المجردة .

مرحلة حب القصص القصيرة البسيطة :

تبدأ هذه المرحلة بعد تمام عامين من عمر الطفل وتمتد إلى ثلاث سنوات ، وفيها يسمى الطفل عملية النظر إلى الكتاب « قراءة » ، ويستمر فى حفظ أسماء الصور والأشياء التى بها ، كما يجب أن يسمع قصة عن كل صورة .

ولابد من الاهتمام فى هذه المرحلة بأن نقرأ للطفل ما فى كتبه من قصص بصوت مرتفع . إننا نثرى بذلك ثروته اللغوية ونشجع محاولاته للتعبير عن نفسه . وليس مهما عدم قدرة الطفل على نطق كل الكلمات التى نقرؤها له ، ففى هذه السن يستطيع الطفل أن يفهم كلمات أكثر من الكلمات التى ينطقها . لذلك يود الطفل فى هذه المرحلة أن تعاد عليه قراءة نفس الكتاب ، إلى أن يتقن ما به من كلمات .

ويمر الطفل بخبرة عاطفية ممتعة ، عندما يجلس على ركبة أمه ، مرة واحدة على الأقل فى اليوم ، وهى تقرأ له من كتاب يحبه . إن هذا يهيئ للطفل مستقبلا سعيداً فى صحبة الكتب .

ويجب أن نحذر من إعطاء الطفل فى هذه المرحلة كتبًا كثيرة جديدة مرة واحدة ، خوفاً من أن يختلط عليه الأمر ، ويفقد اهتمامه بها جميعاً .

وفى هذه المرحلة ، يستطيع الأطفال أن يعرفوا ويحترموا القواعد التى تمنع أخذ الكتب من أماكن معينة ، والتى توجب إعادتها إلى أماكن معينة . لكن لا يجب وضع الكتب الخاصة بالأطفال بعيدًا عنهم ، بل يحسن وضعها بحيث يمكن أن

يرى الطفل أغلفتها الكاملة .

وفى هذه السن ، يبدأ الأطفال فى إظهار إدراكهم للحروف ، باعتبارها شيئًا آخر يغطى جانباً من صفحات الكتاب .

مرحلة البحث عن المعانى :

وتبدأ بعد عامين ونصف العام . أو بعد ثلاث سنوات ، وفيها تبدو الصور للطفل وكأنها أشياء حقيقية حية - فقد يمد يده ليأخذ شيئاً من صورة ، وقد يُقبِّل طفلا فى صورة ، وقد يُصدر أصواتاً تدل على المشاركة الوجدانية ، مثل « مسكين عادل .. وقع على الأرض .. لا تبك » . وقد يخلق لنفسه صديقًا يتخيله ، ويكون مستمدا من شخصية فى الكتاب .

كذلك يزداد اهتمام الطفل بالكلام الذى يسمعه فى أثناء النظر إلى الصور ويحفظه ، وفى هذه السن ، يحب الطفل الأغانى المسجوعة ، ويهتم بالكتب التى بها معلومات عن أشياء يشعر بحاجته إلى أن يعرف شيئاً عنها ، مثل السيارات والطيارات والقطارات . وكذلك يخصص لنفسه مكاناً يحفظ فيه كتبه . وفى هذه المرحلة ، فإن أشكال الحروف ، وإن كانت تجذب اهتمامه ، فإنها لا تستوقفه ، بل يمر عليها مرا .

مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف :

وبعد العام الثالث أو فى منتصف العام الرابع من حياة الطفل ، يصبح الصغير قادراً على الاشتراك مع غيره من الأطفال فى الاستمتاع بالكتاب ، ويأخذ فى اكتساب القدرة على تفسيرّ الصور والتعليق عليها . إنه يمكن أن يتوقع حوادث معينة وأن يقوم بتعليل حادث . كذلك يمكنه الإصغاء إلى عبارات مكتوبة

لا تصحبها صور ، ويمكن أن يعيد سرد القصص البسيطة جدًّا ، والتى تساعد الصور الواضحة على سردها.

وفى هذه المرحلة تكون صور الكتب وسيلة هامة وأساسية لإثارة أحاديث متبادلة بين الأطفال والكبار ، تتناول مختلف الموضوعات ، وتحفز النمو العقلى للطفل ، مع توسيع مداركه ، وزيادة ثروته اللغوية . وهذه كلها أسس مهمة يعتمد عليها ، تفتح إدراكه العام ، وما يترتب عليه من سرعة تقدمه فى القراءة فى مستقبل أيامه .

إن صور الكتب التى توضع لهذه السن ، تضع أمام الطفل أسئلة تحمله على أن يتعرف على الفروق بين الأشياء ، كأن يميز ، بالتطلع إلى صور الحيوانات ، بين ما يعيش منها فى البيت وما يعيش منها فى الحقل ، أو يتعرف على ما هو طائر وما هو حيوان ، أو يتعرف على ألوان ما يوجد فى الصور من أشكال ، أو يقارن الأشكال والأوضاع ، فيحدد مثلاً الصغير والكبير والمتشابه والمختلف . إن القدرة على تمييز الاختلافات فى الأشكال التى فى الصور ، ستكون عونًا كبيرًا للطفل فيما بعد ، عندما يبدأ تعلُّم القراءة .

كما أن الكتب الموجهة للأطفال فى هذا المرحلة يمكن أن تحتوى على صور متتابعة ، قليلة العدد ، تحكى قصة بدون أن يصحبها نص مكتوب ، فالأطفال يجب أن يتعلموا من هذه السن المبكرة أن الصور المتعاقبة قد تمثل قصة . وقد يجد الآباء والأمهات من الضرورى أن يبدءوا هم بحكاية قصة أو اثنتين فى مجال الحكايات المكونة من صور متسلسلة ، ولن يطول الوقت قبل أن يرغب الأطفال - كل حسب إمكاناته - فى أن يقوموا هم بحكاية القصة من صورها المتعاقبة .

ولكن على الوالدين أن يتذكرا دائماً أن نمو الأطفال وتطورهم يتفاوت نوعاً وسرعة ، فلكل طفل أوضاعه وحدوده ، وعلى الوالدين ألاّ يقلقا إذا لم يرد

الأطفال بإجابات صحيحة عن الأسئلة التى تطرحها الكتب ، فبالمعاونة والتوجيه الصحيح سيفعلون ذلك عندما يستطيعون.

وفى هذه المرحلة يبدأ الاهتمام بأشكال الحروف بمثل الاهتمام بالصور.

مرحلة ما بين الرابعة والخامسة من العمر :

بعد الرابعة من العمر وإلى الخامسة ، يجد الطفل متعة فى مصاحبة غيره ، لهذا تزداد مهاراته الاجتماعية ، وتفوق اهتمامه بالكتب. وفى هذه المرحلة يجد الطفل متعة فى كل ما يثير الضحك ، خاصة الصور الهزلية (الكاريكاتير) ، وفى الكلام الساذج ، حتى إذا لم يكن له معنى ، مثل : الثعلب فات فات – يا طالع الشجرة هات معاك بقرة – هات الخشبة خشبة حبشى. كذلك فإن الطفل فى هذه السن ، تصبح لديه القدرة على أن يحفظ القصص كلمة كلمة ، وتكثر أسئلة الأطفال : « لماذا ! ؟ » .. « ماسبب ؟ ».

وأطفال العامين الرابع والخامس يدركون أن هناك علاقة بين النص المطبوع والقصة ، ويظنون أن كل ما يقوله القارئ مستمد من النص نفسه. وفى هذه المرحلة يبدأ الاهتمام الحقيقى بالقيمة اللغوية للكتاب ، كما يحب الأطفال المكعبات التى توجد عليها حروف الكتابة.

* * *

ويلاحظ أنه فى الفترة من ثلاث إلى خمس سنوات ، يفضل الطفل القصص التى تدور حول الحيوانات ، أو حول شخصيات فى محيطه مثل الأب والأم والأخ ، أو حول الأحداث اليومية التى يعرفها الأطفال كل المعرفة ، مع تسمية كل شخصية بصفة يسهل عليه تمييزها ، مثل « الدجاجة الحمراء » أو « ذات الرداء الأحمر ».

كما يحسن أن تكون الشخصيات فى هذه القصص ، حتى الجماد منها ، متكلمة ولها أصوات وحركات ، وأن تتضمن القصة إيقاعًا فى الكلمات أو الجمل . كما يحب الأطفال سماع تقليد أصوات الحيوانات والأشياء ، وأن تركز القصة على الحركات ، فى جمل قصيرة وشخصيات قليلة ، مع التكرار فى العبارات والألفاظ .

ولمن هم قبل الخامسة ، ليس من الحكمة أن نقص قصص الجنّيات . ففى عالمهم تختلط الحقيقة بالخيال ، فيجدون صعوبة فى معايشة الساحرات والعمالقة ، وسيصلون فى سن السادسة وما بعدها إلى فسحة طويلة من العمر ، يستمتعون فيها بهذه القصص ، ويستفيدون منها أيضاً .

القراءة مجموعة مهارات

بعد المرحلة السابقة ، سنجد أطفالا لديهم استعداد حقيقى لتعلُّم القراءة والإقبال على الكتب .

لكن القراءة فى حقيقتها عملية معقدة ، وليست مجرد التعرف على أسماء الحروف وكيفية نطقها ، أو مجرد التعرف على شكل الكلمات ونطقها . إن عملية القراءة تتضمن – بالإضافة إلى ما سبق ، وفى نفس الوقت – القدرة على فهم معانى الكلمات ، وفهم معانى الجمل ، والربط بين تسلسل الأحداث ، مع القدرة على التركيز ، والتذكر ، والاستيعاب ، والنقد ، وعلى إعادة التعبير عما تمت قراءته .

لهذا يجب أن نؤكد على أن الاستمرار فى حب القراءة ، والإقبال على الاطلاع ، واحترام الأطفال للكتب ، يجب أن تسبقه خبرات سعيدة ، فى بيئة

تعمل على إنماء شخصيات الأطفال وتحيطهم بالكتب المناسبة لأعمارهم ، وتعطيهم المثل فى أشخاص بالغين يهتمون بالقراءة ، ويهتمون أن يقرءوا للطفل ، وأن يزودوه بكثير من الخبرات المختلفة ، وأن يمنحوا الطفل فرصة الاتصال المباشر بالأشياء والحقائق ، وذلك بتركه يلاحظ ويتعلم من خلال الرحلات والتجوال ،وزيارات المتاحف والمصانع والحقول ، ثم تركه يتحدث عمّا شاهد ، فتنشأ لديه ثروة لغوية ، وتتكون لديه بذور مختلف الأفكار ووجهات النظر فى الأشخاص والأشياء.

وعلينا أن نصبر على أسئلة الطفل ، فإن سلوك الكبار نحو إجابة الأطفال عما يسألون عنه ، من أهم وسائل تنمية قدرة الأطفال على فهم ما يقرءون.

كما ينبغى أن نعاون الطفل على أن يعبر بوضوح عما يجول فى خاطره ، وأن نُظهر الاهتمام بمحاولته للتعبير عمّا يفكر فيه ، ولنعاونه على استعمال الكلمات وعلى نطقها بدقة ، وعلى أن يعتاد سماع القصص وأن يعيد روايتها بل يضيف إليها إذا أراد.

ولنذكر أن الأطفال يرغبون فى تعلُّم القراءة ، لكن لنحذر أن ندفع الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة نحو تعلُّم القراءة ، بل لنجعل جهودنا محصورة ، فى هذه الفترة ، فى إعداده للقراءة ، بدون أن نخرج عن نطاق المتعة البريئة واللعب المسلى ، ذلك أن تعليم طفل لم يسبق له التَّعلُّم أسهل كثيرًا من استئصال عادة خاطئة نتيجة محاولة تعليم الطفل قبل السن المناسبة.

ويجب دائمًا أن ننظر إلى الخطأ على أنه خطوة طيبة على الطريق السليم ، وأن نحذر تماماً من السخرية بأخطاء الطفل اللغوية ، لأن الخوف من الوقوع فى الخطأ كثيرًا ما يعوق الأطفال عن التعلُّم.

ولنتذكر أن النضج الانفعالى عند الأطفال لا يُستكمل حتى سن السادسة ، بل أحياناً حتى سن أكبر من ذلك ، وبشكل يسمح بتكوين الروح الرياضية عندهم ،

لذلك يتحتم علينا تحاشى الالتجاء إلى المنافسة والمقارنة بين طفل وآخر . حتى لو كان أخاه ، كوسيلة من وسائل الحَفْز فى مجال التعليم .

ويجب اختيار الكتب المناسبة فى موضوعها وصورها لكل سن ، كذلك اختيار الكتب المناسبة فى حجم الحروف . ذلك أنه قبل سبع سنوات ، يصعب على الأطفال تركيز أبصارهم فترة طويلة على الأشياء الدقيقة ، لذلك يجب فى كتب مرحلة ما قبل المدرسة ، أن تستخدم حروف الكتابة الكبيرة الحجم جدًّا .

كما يجب تخصيص عدة أرفف فى غرفة الطفل ، لحفظ الكتب ، وتدريب الأطفال على إعادة الكتب إلى مكانها بعد الانتهاء من « مطالعتها » ، أو بمعنى أدق ، بعد مشاهدة ما بها من صور .

ما بعد تعلّم القراءة

كما يمر الطفل بعدة مراحل قبل تعلُّمه القراءة ، فإنه منذ أن يبدأ فى تعلّم القراءة ، يمر أيضاً بعدد من المراحل ، تصل به إلى مرحلة النضج .

مرحلة اكتساب العادات الرئيسية للقراءة :

وتمتد هذه المرحلة من سن السادسة إلى سن السابعة ، أى خلال السنتين : الأولى والثانية من المرحلة الابتدائية . وفى هذه المرحلة يتعرف الأطفال على الحروف والكلمات والتراكيب ، ويكتسبون القدرة على مزج الكلمات ببعضها لتكوين الجمل ، كما ينظرون إلى القراءة على أنها ترجمة الرموز المكتوبة إلى ما تدل عليه من معان . وتكون سرعة الأطفال فى القراءة الجهرية أكبر من سرعتهم فى القراءة الصامتة . وفى نهاية هذه المرحلة ، يبدأ الاستقلال فى القراءة ، وتبدأ القراءة الخارجية .

وفى هذه المرحلة ، وإلى سن الثامنة أو التاسعة ، يتخيل الطفل أشياء أبعد من الواقع المحيط به ، ولذلك يحب القصص التى تدور حول الملائكة والجنيّات والسّاحرات والعمالقة . وقد تعلمت البشرية كثيرًا من هذه القصص ، فمعظمها يدور حول تحديد البطل لهدف صعب يقرر الوصول إليه ، ثم نجاحه فى مواجهة مختلف التحديات حتى يحقق هدفه .

ويهتم الأطفال ابتداء من هذه السن ، بالكتب التى تعطى معلومات ، بشرط أن تكون الصور والرسوم الواضحة الملونة مادة أساسية فيها ، وذلك مثل الكتب التى تتناول الحيوانات أو وسائل المواصلات مثل السيارات والقطارات والطائرات ، على أن تكون فى حدود مقدرة فهم الطفل .

كذلك يهتم الأطفال بالكتب التى تعطى معلومات عن كيفية صنع الأشياء ، والأعمال التى يقوم بها الناس ، وماذا يحدث من حولنا ، على أن يكون كل هذا بطريقة بسيطة ، لكن دقيقة أيضًا .

مرحلة النمو السريع فى إتقان المهارات الأساسية للقراءة :

وتمتد من سن الثامنة إلى التاسعة أو العاشرة ، أى خلال السنوات الوسطى من التعليم الابتدائى . وفيها ينتقل الأطفال من تعلم القراءة إلى القراءة للتعلم . وهم يستخدمون العادات والاتجاهات التى اكتسبوها فى المراحل السابقة من فهم وحب للقراءة ، ليحصلوا على معلومات وخبرات جديدة . وفى هذه المرحلة تزداد سرعة الأطفال فى القراءة الجهرية والصامتة ، مع رغبتهم الشديدة فى استخدام مهاراتهم فى قراءة كل ما يقع تحت نظرهم من مواد ، مثل الإعلانات فى الشوارع وأسماء المحالّ التجارية .

ولكى تتحقق أهداف هذه المرحلة ، يجب أن تكون موضوعات الكتب مشوقة

ولغتها سهلة . ويجب الحرص الشديد فى تقديم المفردات الجديدة فى هذه المرحلة ، وأن تكون نسبتها إلى الكلمات القديمة قليلة فى أول الأمر ، ثم تتزايد بالتدريج ، وهذا هو السر فى كثرة التكرار الذى يُلاحظ فى المواد التى تُقَدَّم للأطفال حتى هذه المرحلة .

ويلاحظ أنه بعد سن ثمانى أو تسع سنوات إلى سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، يقل اهتمام الطفل بقصص الحيوانات والقصص الخرافية ، وبدلا منها يهتم الأولاد بقصص المغامرات والرحلات والأبطال والمكتشفين والقصص البوليسية ، على حين تفضل البنات القصص التى تدور حول العواطف الأسرية والفنية – مع استمرار الاهتمام بكتب المعلومات .

مرحلة التوسع فى القراءة :

وتمتد من التاسعة أو العاشرة إلى ما يقرب من الرابعة عشرة ، وهو ما يقابل السنوات الخامسة والسادسة من المرحلة الابتدائية ، والسنتين الأولى والثانية من المرحلة الإعدادية . وفى هذه المرحلة ، يقرأ الأطفال كل ما تصل إليه أيديهم من مطبوعات . لذلك فإنه كلما كثرت مواد القراءة وتعددت موضوعاتها ، بحيث تشبع ميولهم وتنمى قدراتهم وخبراتهم ، زاد إقبال الأطفال على القراءة . وتعتبر هذه المرحلة أهم المراحل فى الاتصال بأدب الأطفال .

ومن أهم أهداف القراءة فى هذه المرحلة ، تكوين الثروة اللغوية الواسعة عن طريق المفردات والأساليب الجديدة ، بطريقة تمكن الأطفال من استخلاص معناها من السياق ، لذلك لابد من إمدادهم بالقواميس والمراجع التى تساعدهم على تحديد المعانى تحديدًا دقيقًا .

وسرعة الطفل فى القراءة الصامتة فى هذه المرحلة تفوق سرعة القراءة الجهرية ، مما يساعده على الاستمرار فى القراءة .

وفى نهاية هذه المرحلة ، تنجح القصص التى تدور حول النجاح فى المشروعات والوصول إلى الزعامة والقيادة .

مرحلة النضج :

وتمتد إلى السادسة عشرة أو السابعة عشرة . وفيها تأخذ الاهتمامات العامة ، ومنها اهتمامات القراءة ، فى التخصص ، وتقترب المادة المقروءة فى مفرداتها وخصائصها الأسلوبية من مواد القراءة العادية العامة ، وتتجه عناية القارئ إلى فهم الأفكار والمعانى ونقدها وتلخيصها ، واستخدام المراجع ومصادر المعلومات ، وتذوق قوة التعبيرات المجازية والصور البيانية وغيرها من الصور الفنية .

أطفال لا خبرة لهم بالكتب

قد نجد فى المدارس أو المكتبات أو نوادى الأطفال ، أطفالا لم تُتح لهم أسرهم أو بيئتهم أن يتزودوا فى السنوات الأولى من حياتهم بالخبرات اللازمة للاستعداد أو التهيؤ للقراءة ، مما يؤدى إلى تخلفهم عن زملائهم فى مراحل تعلم القراءة ، بل قد يجعلهم يعانون لسنوات طويلة من التخلف فى القراءة ، مما يؤثر على مستوى تحصيلهم العام ، بل قد ينفرهم تماماً من القراءة ، ومن العملية التعليمية كلها ، التى تعتمد فى كافة المواد ، على قدرة الطفل على قراءة وفهم واستيعاب الكتب المخصصة لكل مادة .

وبالنسبة لهذه الفئة ، لابد أن نضع أمامنا هدفًا أساسيًا ، هو التأكد من أن الطفل يفهم ما يقرأ ، أو ما نقرؤه عليه .

ولن يتم هذا إلا بتنمية عادة الإصغاء والانتباه لدى الطفل ، وتنمية عادة صياغة

الأفكار صياغة لغوية ، وتنمية القدرة على التعبير عن النفس ، وعلى خلق الصور وصياغتها فى كلمات .

وفى سبيل هذا ، لابد أن نضع بين أيدى مثل هؤلاء الأطفال مجموعات من الكتب المتنوعة الممتعة ، يُقَلِّبُونها بأنفسهم ، ونحدثهم عنها ، ونجيبهم فيها ، وخاصة تلك التى تناسب سنًّا أصغر من سنهم .

كذلك يجب أن ننظم حلقات يومية نقرأ لهم فيها بصوت عال ، ونسمع أسئلتهم ونجيب عليها ، ثم نسألهم ونناقش إجاباتهم ، ونتيح لهم أن يعيدوا رواية ما سمعوه ، ونعيد عليهم ما قرأناه حتى يحفظوا مضمونه ، ونطلب منهم أن يلقوا أسئلة حول ما سمعوا ، وأن يجيبوا بأنفسهم عن هذه الأسئلة ، وأن نربط ما قرءوا بالرسم وباللعب ، وبالتمثيل وبالأغانى وبالموسيقى ، فيرسمون موضوعات يختارونها من بين ما سمعوه ، أو يؤلفون تمثيلية يؤدونها ، مستمدة مما سمعوا أو قرءوا ، وهكذا .

كما يجب أن نهتم ، فى كل مناسبة ، بأن نبين لهم مفاهيم العناية بالكتب ، وفهم الصور ، ومعانى الكلمات ، وأن نشرح لهم ما يصعب عليهم فهمه من رسوم أو كلمات ، وأن نعطيهم قدوة دائمة فى كيفية المحافظة على الكتاب ، واحترامه ، والحرص عليه ، والاستفادة به .

كذلك يمكن تكليفُهم بكتابة موضوعات لصحيفة الحائط . وفى هذا المجال ، يجب الاعتماد على المواد التى يكتبها الأطفال بأنفسهم ، عن خبراتهم الخاصة وبلغتهم وبألفاظهم هم ، أى لا تكون موضوعات منقولة . ويحسن أن تكون الموضوعات فى مجلة الحائط قصيرة جدًّا ، لا يتجاوز كل موضوع عددًا قليلا من الجمل ، مع تقسيم كل موضوع إلى نقاط قصيرة متميزة ، أى يجب أن تتكون المجلة من مواد كثيرة قصيرة ، بدلا مما نراه أحيانًا من وجود مواد قليلة طويلة فى صحف الحائط ، فلا يقرؤها أحد . ويجب أن تكتب مثل هذه المجلات بخط كبير جدًّا

وواضح جدًّا ، وأن يكون هناك توازن بين المساحة المخصصة للكتابة والمساحة المخصصة للصور والرسوم . وفى النهاية ، يجب أن تُعلق هذه المجلات فى مستوى بصر الأطفال .

كما يحسن تعويد كل طفل على أن يصطحب معه إلى المكتبة « كراسة للمطالعة » يسجل فيها ما أعجبه ، مع تسجيل بيان بما أتم قراءته فى كل يوم ، وعلى المشرف على مكتبة الأطفال أو نادى الأطفال أن يُظهر مزيدًا من الاهتمام والعناية يوميًّا ، بكل ما يكتبه كل طفل فى كراسته هذه ، وأن يدعوه بين الحين والحين إلى أن يقرأ منها على زملائه .

كذلك يمكن عقد ندوات مكتبية فى يوم أو يومين محددين من كل أسبوع ، يعرض فيه طفل أو عدد من الأطفال كتابًا أو قصة معينة ، ثم يتلقون الأسئلة حول ذلك الكتاب ، أو تلك القصة .

هذه كلها أمثلة لطرق التعامل مع الأطفال فى مكتبات الأطفال ، وهو موضوع سنتعرض له بتوسع أكثر فى نهاية هذا الكتاب . ويمكن للمشرف على المكتبة المتحمس لعمله ، الذى يحترم الأطفال ويفهمهم ويقدرهم ، أن يبتكر كثيراً غيرها من الوسائل التى تجعل من الكتاب صديقًا شخصيًّا حميماً لكل طفل ، مثل قص القصص بشرائح الفانوس السحرى ، أو اصطحاب الأطفال إلى الزيارات والرحلات المرتبطة بموضوعات الكتب لحفزهم على قراءتها .

ماذا تقدم القصص للأطفال

استقر رأى رجال التربية وعلماء النفس ، على أن الأسلوب القصصى هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال ، سواء كان ذلك قيماً دينية أو أخلاقية ، معلومات علمية أو تاريخية أو جغرافية ، توجيهات سلوكية أو اجتماعية .

إن حب الأطفال للقصص والحكايات ، أمر شائع ومعروف . فالأسلوب القصصى ، بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث ، يمكن أن يكون الوعاء الذى نصب فيه كل ما نريد تقديمه للأطفال .

كذلك فإن من أهم وسائل تنمية وعى القراءة ، وتنمية مختلف القدرات اللازمة لجعل القراءة عملية منتجة ومفيدة ، أن نقص القصص للأطفال ، وأن نعاونهم على قص القصص بأنفسهم . . أن نقرأ لهم القصص ، وأن نشجعهم على

أن يقرءوا القصص بأنفسهم ، لأنفسهم ولغيرهم .

إن للقصص دوراً هامًّا فى التربية ، سواء من ناحية توجيه السلوك ، أو تنمية الخيال ، أو تنمية الإحساس بالجمال ، أو إدخال المتعة ، أو ترقية اللغة .

كذلك فإن توجيه الأطفال ، بعد استماعهم إلى قصة أو قراءتها ، لرسم أحداث منها ، أو إعادة كتابتها ، أو تمثيل بعض مواقفها ، يساهم كثيراً فى تنمية خيال الأطفال ، وقدراتهم الفنية واللغوية .

كما أن تشجيع الأطفال على إعادة قص القصة وروايتها ، ينمى فيهم القدرة على التركيز ، وسلامة التعبير ، وقوة الملاحظة ، كما ينمى فيهم الشجاعة والثقة بالنفس .

وتعدّ القصة الوسيلة الفنية المثالية ، التى لابد من استخدامها ، لكى نوصل ما نريد إلى الطفل من المعلومات والقيم .

اختيار القصة :

ولكن ليست كل قصة صالحة للأطفال ، فالكثير من القصص التى تقدمها الكتب أو وسائل الإعلام للأطفال ، تتضمن مفاهيم ونماذج سلوك كبيرة الخطر عليهم . وكثيراً ما نترك أطفالنا تحت تأثير مثل هذه القصص ، التى تقدمها بكثرة مجلات الأطفال فى قصصها المسلسلة المرسومة (الكومكس) أو تقدمها البرامج المرئية (التلفزيونية) .

والصفحات التالية محاولة للتنبيه لأخطر ما تتضمنه القصص الشائعة ، التى تقدمها عادة وسائل الإعلام الواسعة الانتشار .

إن القصص من أهم المصادر التى يعتمد عليها الطفل فى معرفة حقائق الحياة ، ومن أخطر الأمور أن نقدم لأطفالنا قصصاً تؤكد لديهم قيمًا أو نماذج سلوك خاطئة

أو منحرفة .

ويلاحظ فى هذا الصدد ، أن هناك قصصًا يمكن أن نعدل فى أحداثها ومواقفها حتى تناسب الأطفال . فمعظم القصص الشعبية ، بها كثير من مواقف العنف ومنافاة الأخلاق ، ومع ذلك فقد أعيدت كتابة عدد كبير منها ، لتنقيتها من هذه الشوائب ، مع الاحتفاظ بما فيها من جاذبية وتشويق .

أما إذا تعذر تنقية القصة مما بها من شوائب ، فيجب استبعادها تمامًا من دائرة أدب الأطفال .

العنف كوسيلة لحل المشاكل :

ومن أكثر النماذج السيئة التى تقابلنا فى قصص الأطفال ، تلك القصص التى تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل ، أو التى تجعل القوة البدنية هى العامل الأقوى فى حسم مختلف المواقف ، وذلك مثل قصص « طرزان » أو « سوبرمان » أو « الجاسوسية » والتى لا تحتوى على أى قيم إنسانية أو أخلاقية .

إن تاريخ الحضارة ، هو تاريخ إحلال العقل محل القوة ، وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل « طرزان » ، الذى تربى بين الحيوانات ، والذى لا يعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا القوة البدنية ، فإن الأطفال سيسقطون من سلوكهم كل ما قدمه لنا تاريخ الحضارة من وجوب استخدام العقل فى حل المشكلات بدلا من القوة ، وهو أمر يتنافى مع أهم أهداف التربية السلوكية للأطفال . فأول ما نهتم بغرسه فى أطفالنا ، هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح ، وذلك عن طريق استخدام العقل ، مع استبعاد القوة البدنية بشكل شبه كامل .

إن « الأوديسا » عندما تحكى قصة « أوليس » مع « السيكلوب » ذى العين

الواحدة ، تبين كيف استطاع الإنسان الضعيف بجسمه القوى بعقله ، أن يتغلب على ابن الآلهة ، القوى بجسمه ، الضعيف فى عقله . ومن غير المعقول أن يُعلِّم اليونان القدماء أبناءهم ، منذ ثلاثة آلاف سنة ، الاعتماد على العقل بدل القوة ، ثم نأتى نحن فى نهاية القرن العشرين ، لنقص على أطفالنا قصص طرزان وسوبرمان والجاسوسية التى أشرنا إليها ، فنلغى بها كل إنجازات الحضارة ، عندما نؤكد بما نقدمه لأطفالنا من تلك القصص ، أن القوة هى الوسيلة المثالية الحاسمة لحل المشكلات التى تواجه الإنسان ! !

إثارة العطف على قوى الشر أو تمجيدها :

كذلك يجب تجنب القصص التى تتضمن إثارة العطف على قوى الشر أو تمجدها ، مثل القصص التى يتغلب فيها الشرير على الشرطى أو على ممثل القانون .

إن بعض من يقدمون مثل هذه القصص ، يدافعون عنها بقولهم إنهم يعرضون صور السلوك الخاطئة ، لكى يقوموا بإدانتها فى خاتمة القصة .

لكن ما أشد خطأ هذا التصور .

إن الأطفال يتأثرون بمختلف مواقف القصة التى يقرءونها أو نحكيها لهم ، لما فى تلك المواقف من حركة وتشويق . فإذا كانت تلك المواقف تتضمن انتصار الشر أو تمجيده ، وإظهار بطولته ، فإن هذا هو الذى سيؤثر بعمق فى الأطفال ، أكثر كثيراً مما يتأثرون بخاتمة ندين فيها الشر بعبارات عامة . فما أقل تأثير الكلمات على الأطفال ، وما أقوى تأثير مواقف الحركة والحوار والخيال عليهم .

السخرية بالآخرين :

كذلك يجب تجنب القصص التى تقوم على السخرية بالآخرين ، عن طريق تدبير المقالب لهم ، وإيقاع الأذى بهم ، مثل موضوع الأفلام المتحركة « توم وجيرى » .

إن هذه الأفلام وأمثالها تجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء التنافس بين الأطراف المتنازعة . والموضوع الرئيسى المتكرر فيها ، هو ما يدبره كل طرف للطرف الآخر من أساليب للأذى . وإذا كنا نضحك ونحن نشاهد مثل هذه الأفلام ، فإن الطفل الذى يشاهدها فى السينما أسبوعًا بعد أسبوع ، أو فى التليفزيون يوماً بعد يوم ، سيتركز فى وعيه نمط خاطئ من السلوك ، من السهل تقليده والتمثل به ، لما فيه من تنمية للإحساس بالتفوق على الآخرين برغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار .

ازدراء الأجناس الملونة أو احتقار الحياة الإنسانية :

كذلك يجب الحذر من القصص التى تتضمن ازدراء الأجناس الملونة ، أو احتقار الحياة الإنسانية والاستهانة بها ، مثل القصص التى تدور حول إبادة الهنود الحمر ، أو قصص طرزان التى تؤكد تفوق الرجل الأبيض .

إن قصص الغرب الأمريكى ، التى كثيرًا ما تقدمها القصص المصورة المسلسلة فى مجلات الأطفال ، تؤكد لدى الأطفال شعوراً قويًّا بتفوق الرجل الأبيض ، وبتفاهة حياة سكان أمريكا الأصليين ، وبأن من حق الرجل الأبيض أن يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة .

ومثل هذه الصورة نجدها أيضًا فى قصص طرزان ، التى يلجأ فيها هذا العملاق الأبيض إلى استعداء الحيوانات على أهل أفريقيا السود ، تقتل منهم من يرى أنهم

أصبحوا أعداءً له .

إن مثل هذه القصص ، تجعل الحياة الإنسانية شيئا هيّنًا فى وجدان الأطفال ، فى حين أن من أسس التربية السليمة ، أن نبنى الاحترام للحياة الإنسانية والحفاظ عليها وتقديرها ، بل تقديسها مهما اختلف لون البشرة .

التبسيط المخل للشخصيات :

كذلك يجب الحذر من القصص التى تلجأ إلى تبسيط الشخصيات ، وتجعل بعضها ممثلا للخير المطلق وبعضها ممثلا للشر المطلق ، مثل كل قصص الرجل الخارق للطبيعة (السوبرمان) ، لأن هذا مخالف لطبيعة البشر ، ويؤدى إلى فهم الأطفال لمجتمعهم فهمًا خاطئًا ، ففى كل إنسانٍ جانب طيب وجانب خبيث ، والمهم أن نفهم دوافع الإنسان وأسباب سلوكه ، لكن بطريقة مبسطة تناسب الأطفال .

إن هذا النوع من القصص يؤكد قيما مضادة لكل ما قامت عليه نظم الدول المتمدينة الحديثة : فمن القيم التى يجب أن تشيع فى نفوس الأطفال ، احترام القانون ، وترك مهمة محاكمة المخطئ والحكم عليه وتنفيذ الحكم للقضاء ولسلطات الأمن . لكن كثيراً من قصص الرجل الخارق للطبيعة تجعل البطل هو الذى يحدد ما هو الخير وما هو الشر ، وتتركه يحكم على الآخرين بمعياره الشخصى ، وينفذ بنفسه ما ينتهى إليه من أحكام ، ولو كان الحكم بالإعدام ! وبهذا تلغى هذه القصص كل ما بنته الحضارة من نظام للدولة ، يخضع فيه كل شخص للقانون الذى سنّته الجماعة ، حتى لا يُترك الأمر فوضى لوجهات النظر الشخصية التى تُغَلِّبها مثل هذه القصص ، التى تعطى ذلك الفرد المتفوق – والذى يُفترض أن يتمثل به الطفل – كل سلطات الشرطة والقضاء وأجهزة تنفيذ الأحكام .

يضاف إلى هذا أن هذه القصص تزيف الحياة،.عندما تجعل فى متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة، دون إبراز أى جهد بذله للحصول على هذه الوسائل، حتى إنه يحطم فى كل يوم ما يساوى عشرات الآلاف من الجنيهات بغير أسف أو ندم ثم يجد غيرها بنفس البساطة، برغم أنه من أسس التربية السليمة أن ينشأ الأطفال على تقدير قيمة ما يملكون أو ما يتطلعون إلى امتلاكه، وأنه لابد من بذل الجهد للحصول على هذا الذى يتطلعون إليه.

وإذا قيل إن مثل هذه القصص تنمى الخيال العلمى ، فإنه يجب التفرقة بين القصص التى تقوم على تنمية « أسلوب » التفكير العلمى ، الذى يعتمد على الملاحظة والاستنتاج ، والتجربة والخطأ ، ووضع الفروض وتمحيص هذه الفروض حتى يصل البطل إلى نتائج إيجابية ناجحة ، وبين القصص التى تحفل بها الكتب والمجلات التجارية ، والتى تقدم للطفل ، دون مقدمات ، أجهزة ووسائل جاهزة ، يستخدم البطل معظمها فى الدمار والقتل ، بدون أية إشارة إلى أسلوب التوصل إلى اختراع تلك الآلات ، أو أية إشارة لما يمكن أن تمنحه للبشرية من فوائد ، فهى قصص « توهم » بأنها من قصص الخيال العلمى ، فى حين أنها فى الواقع من قصص « الهذيان » الذى يستعير من العلم أشكاله الخارجية ، دون مضمونه الحقيقى.

إثارة مخاوف الأطفال :

كذلك يجب ألا تتضمن القصة ما يثير مخاوف الأطفال . فالخوف هو إحدى القوى التى تعمل على البناء أو الهدم بالنسبة لتكوين الشخصية ، وقد يؤدى الخوف إلى تشتيت الطاقة العقلية ، بدلا من توجيهها إلى الأهداف النافعة .

وأكثر مخاوف الأطفال تثور بسبب أنواع الخبرة التى يتعرضون لها فى سنواتهم الأولى ، ومن أكثر هذه الخبرات تأثيرًا ، ما يسمعونه من قصص .

إن أكثر المخاوف التى يعانى منها الطفل ، يغلب عليها أن تكون تقليداً لمواقف رآها فى أهله ، أو سمعها فى قصص واقعى أو خيالى ، قرأها أو سمعها فى الإذاعة ، أو شاهدها على شاشة التليفزيون . فإذا استخدمت القصص عنصر إثارة الرهبة والخوف كوسيلة للتشويق وجذب الانتباه ، فإن الطفل قد ينتشى عند سماع القصة نهارًا ، وهو فى حِمَى الكبار ، لكنها تملؤه خشية ورعبًا عندما يصبح وحيدًا فى هدأة فراشه أو غرفته ، فنجد حياته قد أصبح يسيطر عليها الخوف من الظلام أو الحيوانات أو اللصوص أو رجال الشرطة أو العفاريت ، أو حتى الخوف من مجرد الخروج إلى الطريق العام ، أو من مواجهة الناس والحياة . وهذا الخوف إذا اتسع مداه ، أو زادت شدته ، أصبح سبباً لعجز الطفل وإعاقة نشاطه .

لذلك يجب أن نتجنب الإيحاء إلى الطفل فى القصص باحتمال تعرضه الدائم للخطر ، أو أن نثير فزعه من مواجهة الحياة ، أو نشككه فى عدالتها ، أو نثير رعبه من أشياء هى على الأرجح من الأشياء المألوفة تماماً للطفل فى حياته اليومية ، مثل الظلام أو الحيوانات أو رجال البوليس .

والخلاصة أن واجبنا أن نختار دائمًا القصص التى تعمق القيم الدينية والأخلاقية ، أو تثير الاهتمام بالأدب والفن والعلم ، أو تبرز قواعد السلوك أو تنمى الشعور بالمسئولية ، وبوجه عام ، التى يدور مضمونها حول ما نريد أن ننميه ونبنيه فى أطفالنا من قيم واتجاهات . بشرط أن يجىء كل هذا فى ثنايا القصة ، ولا يجىء عن طريق مباشر . إن سلامة المضمون لا يمكن أن تبرر الفقر فى الشكل الفنى ، وإذا لم نقدم القصص فى إطارها الفنى المشوق المحبوك ، فلن يستمع إلينا الطفل ، ولن يصل إليه أى مضمون .

كيف نحكى قصة

يستمع الأطفال ، خاصة الصغار منهم ، إلى القصة المروية لهم فى شغف وحب شديدين . وتأتى متعتهم عند الاستماع إلى القصة ، نتيجة تلك الصلة العميقة التى تنشأ بين الراوى والمستمع . فرواية القصص هى أسرع الطرق لتكوين المودة بين المربى والأطفال ، كما أنها أكثر الطرق تأثيرًا فى خلق عادة التركيز والانتباه عند الطفل ، بالإضافة إلى أن إثارة الشغف بالقصص ، هو مدخل رئيسى لحب الكتب وتنمية الرغبة فى الاطلاع . وهناك آراء مختلفة حول ما إذا كان الأفضل للأطفال أن نقرأ لهم القصة أو نحكيها لهم بغير الاستعانة بكتاب . ذلك أنه حتى بالنسبة للأطفال الصغار ، فهم فى حاجة إلى أن نقرأ عليهم بعض القصص البسيطة ، لكى نربط بين متعة الاستماع إلى القصة ، وإثارة الاهتمام بالكتاب الذى أعطاهم هذه المتعة ، خاصة إذا كان به عدد من الرسوم الملونة الكبيرة ، التى تساعد صغار

الأطفال على الاستمتاع بالقصة ، كما تعاون الكبار منهم على متابعتها .

كما أن من مزايا تلاوة القصة من كتاب ، أنه يمكن للأطفال ، بعد قراءة القصة ، أن يتابعوها مرة أخرى بالتطلع إلى الصور .

ولكن رواية القصة بغير تقيد بنص مكتوب وبغير الاستعانة بكتاب ، ستظل من أنجح الوسائل فى تنمية كثير من المهارات اللازمة لحب القراءة والإقبال على الكتب .

لقد كانت رواية القصة واحدة من أقدم مظاهر التسلية ، ويبدو أنها ستظل كذلك . فرواة الملاحم والحكايات الشعبية المتجولون معروفون فى كل الحضارات ، وكثيراً ما تقوم الإذاعة والتليفزيون والمسجلات بدور الراوى حاليًّا .

إننا نمارس جميعًا يوما بعد يوم قص القصص . وعندما نقابل أصدقاءنا أو أفراد العائلة الآخرين ، ننساب فى قَصٍّ أحداث حياتنا اليومية ، لا ننسى التفاصيل ولا نجد صعوبة فى اختيار الكلمات الصحيحة . ونجذب مستمعينا بتكرار بعض الجمل التى نقولها بتلقائية مثل « لن تستطيع أن تُخمِّن أبدًا ما حدث بعد ذلك : أو « ماذا تظنه قال ؟ » .

وبذلك نتجنب فى مهارة أية محاولات لمقاطعة ما نرويه ، فنحن نعرف القصة جيداً وقد تمثلناها صوراً فى ذاكرتنا مرة بعد أخرى ، والمبالغة الطفيفة التى يسمح بها سياق الكلام ، تزيد متعة قصتنا ، مادامت لا تخرج عن حدود ما يمكن تصديقه .

وهذا الذى نفعله كثيرًا فى حياتنا اليومية يقدم لنا العناصر الأساسية اللازمة للنجاح عندما نقوم برواية قصة للأطفال .

معايشة القصة :

حتى ننجح فى رواية القصة ، يجب أن نكون على دراية جيدة بالقصة التى نحكيها ، نتعرف على شخصياتها ، ونعايش تسلسل أحداثها ، فتسلسل الأحداث هام جدًا ، حيث إن صغار الأطفال يحتاجون إلى بعض الوقت لهضم كل معلومة جديدة . ويساعد على ذلك إلى حد كبير ، التأنى فى الإلقاء والتأكيد على النقاط الهامة أو إعادة شرح نفس النقطة ولكن بأسلوب جديد . كذلك يجب أن نعرف كيف نسلط الاهتمام على موضوع القصة الرئيسى بعد أن نشد إلينا الاهتمام .

إن القصّاص صاحب الخبرة هو الذى تبدو قصته كأنها من إبداعه وخلقه ، وهو يستعد لذلك قبل مواجهة الأطفال ، بأن يدرس القصة التى سيلقيها ، وأن يتمثل مختلف مواقفها ، ويربط بين أحداثها فى خياله وذهنه ويمزج النص بإحساسه ، حتى إذا ما عرف قصته جيدًا استطاع أن يرويها فى بساطة وتلقائية وفى تدفق وروح مرحة ، مع ربطها بتجارب الأطفال وخبراتهم ، غير مقيد بنص أو بعبارة محددة ، وبذلك يتفادى أن يتوقف ويتجنب أن يخطئ فى الأسماء أو الأحداث أو يكرر المواقف تكرارًا مخلا ، أو ينسى موقفًا أو يرويه فى غير موضعه .

الإلقاء المعبر :

ومن عوامل النجاح فى رواية القصة ، أن يستخدم الراوى كل إمكانياته لجعل طريقة إلقائه مشوقة ناجحة . فيحسن استخدام صوته للتعبير والتوضيح ، ونقل مختلف العواطف والانفعالات ، ويقلد به الأصوات خاصة مختلف أصوات الحيوانات . ويؤدى فقرات الحوار بالتمثيل . ذلك أنه من الصعب جدًا الإنصات إلى حكاية نسمعها على وتيرة واحدة . كما يستطيع القصاص الناجح أن يقلد

بحركات جسمه وتعبيرات وجهه شخصيات قصته فى مختلف المواقف .

كذلك يجب أن يكون الإلقاء واضحًا وفى هدوء لكى تخرج الألفاظ والكلمات وكل حرف فيها سليم النطق ، فيسهل على الأطفال فهمه واستيعابه بسرعة وسهولة .

ويرتبط بهذا ضرورة اختيار الكلمات المناسبة لسن الأطفال المستمعين . فلابد للراوى أن يكون صاحب خبرة بالقاموس اللغوى الذى يستخدمه الأطفال الذين يلقى عليهم القصة ، أى يكون عارفًا بالألفاظ المتداولة بينهم والتى يفهمونها . وأن يستخدم - كلما أمكن - الكلمات ذات المضمون المادى الملموس أكثر من الكلمات ذات المعنى المعنوى ، فيختار الألفاظ التى تثير المعانى الحسية المتعلقة بالبصر والسمع والحركة واللمس والذوق والشم .

القصة المناسبة للعمر :

كذلك على الراوى أن يختار القصة المناسبة لسن الطفل أو الأطفال الذين يحكى لهم القصة . فليست القصص مناسبة لكل الأعمار . وقد سبق أن ذكرنا أنه إذا كانت قدرة الطفل على الإصغاء إلى القصص تبدأ عندما يستطيع فهم ما يحيط به من حوادث ، وذلك عندما يصل إلى نهاية السنة الثالثة من عمره ، وأحياناً خلال تلك السنة ، فإنه فى الفترة من ثلاث إلى خمس سنوات يفضل القصص التى تدور حول الحيوانات أو حول شخصيات فى محيطه ، وبعد هذه المرحلة ، وإلى سن الثامنة أو التاسعة يفضل الأطفال القصص الخيالية التى تدور حول الملائكة والجنيات والساحرات والعمالقة ، أما بعد سن التاسعة وحتى العام الثالث عشر والرابع عشر يهتم الأولاد بقصص المغامرات والرحلات والأبطال والمكتشفين والقصص البوليسية فى حين تفضل البنات القصص التى تدور حول العواطف

الأسرية والفنية .

وفى نهاية هذه المرحلة تنجح القصص التى تدور حول النجاح فى المشروعات والوصول إلى الزعامة والقيادة .

طول القصة :

كذلك يجب أن يراعى الراوى أن يكون طول القصة مناسبًا لسن الأطفال ، ففى السن الصغيرة قبل خمس سنوات يجب ألا تستغرق حكاية القصة أكثر من عشر دقائق أو أقل من ذلك ، لعدم قدرة الأطفال على التركيز فترة طويلة ، ولسرعة إحساسهم بالملل . وبعد ست سنوات وحتى سن تسع سنوات يمكن أن تستغرق القصة من عشرين إلى ثلاثين دقيقة . أما بالنسبة للسن الأكبر من ذلك فإن طول القصة يرتبط بموضوعها وبإقبال المستمعين عليها .

اختيار الوقت الملائم :

كذلك فإنه لكى ينجح الراوى فى حكاية القصة لابد أن يختار الوقت الملائم لروايته ، فلا يكون الأطفال منهمكين فى نشاط آخر ، ولا يكونون مجهدين مما يمنعهم من التركيز .

وفى دور الحضانة ورياض الأطفال ، لايجب الإصرار على اشتراك جميع الأطفال فى حلقة الاستماع إلى القصة . فإذا كنا قد اخترنا الوقت المناسب ، أى عندما يكون واضحًا أن معظم الأطفال يرغبون فى الانضمام إلى جماعة تستمع إلى قصة ، فإن الطفل الذى لا ينضم إلى هذه الجماعة ، قد يكون طفلا خجولا ، لا يتمكن من اللعب ببعض الألعاب والأجهزة إلا عندما يكون بقية الأطفال مشغولين فى المجموعة القصصية . لكن يجب تنبيه مثل هذا الطفل حتى لا يثير ضوضاء عالية تفسد حلقة الاستماع إلى القصة .

جلوس الأطفال بطريقة مريحة :

كما أن على الراوى أن يراعى جلوس الأطفال بطريقة مريحة ، وبحيث يستطيعون أن يروا الراوى وأن يراهم . وأفضل طريقة لذلك أن يجلس الأطفال على مقاعد معدة على هيئة نصف دائرة ، أو يجلس نصفهم على تلك المقاعد ويجلس الباقون على سجادة أو بساط يوضع على الأرض أمام المقاعد ، فى مواجهة الراوى ، وبالقرب منه ، لأن هذا يخلق فى الأطفال شعوراً بالقرب النفسى من الراوى ويساعدهم على سماع صوته بوضوح . كما يحسن جلوس القصاص بجوار الأطفال القلقين أو العصبيين لإمكان السيطرة عليهم . كذلك لا يجب أن يجلس الأطفال ملتصقين بشدة بعضهم ببعض ، ذلك أن أى حركة غير إرادية من بعضهم ستشغل الأطفال الآخرين ، لذلك يجب إفساح المكان قليلا بين طفل وآخر .

الترحيب بأسئلة الأطفال :

وعلى الراوى أن يكون مستعدًّا لكثير من الأسئلة والمقاطعات . فالراوى الناجح هو الذى يقابل كل مقاطعة بهدوء ومرح وبأعصاب هادئة ، وهو الذى يجيب عن كل سؤال بطريقة بسيطة ومقنعة لا تستغرق وقتًا طويلا حتى لا يفقد الأطفال متابعتهم لموضوع القصة . إن إيماءة أو بسمة قد تكون كافية لإشعار الطفل بأننا قد تنبهنا لمقاطعته ، وأننا سنضعها فى الاعتبار . فالطفل الذى يشعر بأننا نتجاهله سيكرر مقاطعته مرة بعد أخرى بصوت أعلى .

ولا يجب أن يمضى الراوى مع الأحداث الثانوية طويلا ، حتى ولو كانت مسلية أو مبهجة ، وذلك لكى لا يفقد المستمعون تتبعهم لسير الحدث الرئيسى ، كما أنه من الخطأ أن ينشغل الراوى بأمور خارجية ، كالمحافظة على النظام أو الاهتمام بأمر جانبى .

كذلك يجب تجنب القصص المعقدة التى تضم شخصيات متعددة ، أو بها عقدة ثانوية إلى جانب العقدة الرئيسية ، لأن مثل هذه القصص تصيب الأطفال بالحيرة والارتباك فى أثناء تتبعهم للأحداث .

روح المرح :

ومن المهم أن يحتفظ الراوى بروح الفكاهة وهو يروى قصته ، فهذا شرط من أهم شروط إقبال الأطفال على الاستمتاع بما يقول . كما يجب أن يروى قصته فى بساطة وأن يبتعد عن التكلف ويترك نفسه على سجيتها .

ولا يجب أن يقلب الراوى قصته إلى درس فى الوعظ والإرشاد ، بل يجب الاهتمام أساساً بالجانب الفنى ، الذى يتولى بدوره نقل مختلف المعانى والقيم للأطفال بحيث يدرك المستمع المضمون بنفسه بغير تصريح .

إن أفضل الرواة هو من استطاع أن يوقظ خيال الأطفال ، ويثير لديهم صور الأحداث ، وهذا يتوقف على درجة الوضوح والقوة التى يصور بها الراوى الأحداث ويصف بها الشخصيات .

الاستعانة بالوسائل السمعية والبصرية :

ولا شك أن الاستعانة بالصور الملونة ، أو بعرض لشرائح الفانوس السحرى ، أو بعرائس القفاز ، من أهم الوسائل التى تساعد على جذب اهتمام الأطفال وزيادة استمتاعهم بالقصة التى نرويها لهم . إنها من أفضل الوسائل التى تعاون على تحقيق مختلف الأغراض التربوية التى نهدف إليها من رواية القصص ، إذ يستطيع الراوى مثلا ، مع إعادة عرض الصور أو الشرائح ، أن يطلب من الأطفال إعادة قصّ القصة ، أو شرح مضمون كل صورة . كما يمكن إعطاء

الأطفال مجموعة العرائس (الدمى) التى أشركناها معنا فى تقديم القصة ، ليقوموا هم ، عن طريق تحريكها بأنفسهم ، بإعادة رواية القصة ، أو تمثيل مختلف مشاهدها .

تكرار حكاية نفس القصة :

ويلاحظ أن الأطفال كلما صغر سنهم ، لا يملُّون من تكرار سماع نفس القصص التى استهوتهم . واستيعاب مجموعة من الأطفال العاديين ممن تتراوح أعمارهم بين الثالثة والخامسة لقصة ، قد يحتاج إلى تكرارها عليهم حوالى أربع مرات . فعدم تكرار القصص قد يؤدى إلى عدم استيعاب الأطفال لها ، وارتباكهم بوجه عام أمام تجربة الاستماع للقصص الجديدة .

لكن يلاحظ أيضاً ، أن تكرار قصة بعينها – عددًا كبيرًا جدًّا من المرات ، بغير إضافة قصص جديدة – قد يُضَيِّق فرص الخبرة والمعرفة التى يمكن أن يكتسبها الأطفال نتيجة استماعهم لعدد أكبر من القصص . فلابد من إيجاد تناسب بين القصص التى نعيد روايتها على الأطفال ، والقصص الجديدة التى نقدمها لهم .

الدور التربوى لمجلات الأطفال

مجلة الطفل من أهم الوسائل التى تساهم فى تكوين المواطن الذى يشارك مشاركة فعالة بعقله وقلبه ويده فى شئون مجتمعه ، ولا شك أن مثل هذه المشاركة هى من أسس المجتمع الذى يريد أن ينمو .

إن توسيع مجالات المشاركة فى الحياة وتعميقها هى مسئولية من أهم مسئوليات أجهزة الإعلام ، ونفوذ الصحافة فى تكوين اتجاهات الأطفال وفى تثبيت المضامين التى نريد أن ينمو الأطفال وهم على إيمان بها ، إنما هو نفوذ لا يمكن إنكاره .

المجلة والكتاب :

ومجلة الطفل الناجحة يجب أن تجمع بين مظاهر الكتاب ومظاهر الصحيفة الحديثة . فإذا كان الكتاب مجموعة من الدراسات أو البحوث أو القصص التى

تتضمن قدرًا من المعلومات المترابطة أو العمل الفنى المتكامل بهدف توسيع مدارك الطفل وتنمية معارفه والارتفاع بمستوى تذوقه للفنون – فإن المجلة تأخذ من الكتاب هذه السمة ، ولكنها تتميز بأنها تتناول موضوعات متعددة متنوعة ، على خلاف الكتب التى يتناول كل واحد منها موضوعاً واحداً . وبذلك تتفادى المجلة احتمالات تسرب الملل إلى نفوس القراء .

كما أن هذه الخاصية تعطى المجلة القدرة على أن تجيب على اهتمامات وتساؤلات جمهور معين من الأطفال فى وقت معين ومكان معين . ومن المسلم به أن أفضل وقت لتغذية الطفل بمعلومات جديدة ، هو الوقت الذى نجيب فيه على أسئلته . فالطفل عندما يسأل ، فمعنى ذلك أنه مهتم ، وأنه مهيأ لاستقبال الإجابة وفحصها وتأملها ومناقشتها ، ومن ثم ترسيخ ما يقتنع به منها فى ذاكرته .

المجلة والصحافة :

وتأخذ مجلة الأطفال من الصحيفة الحديثة خاصية ظهورها بصفة دورية منتظمة ، وهو ما يسمح للقارئ بأن يتابع الأحداث الجديدة . لكن الكتاب مهما كان حديثا لن يستطيع متابعة ما يدور فى العالم من أحداث هامة واكتشافات مثيرة ، فى حين تستطيع المجلة أو الصحيفة تصوير ما يحدث وتسجيله ونشره بعد فترة قصيرة من حدوثه . وبذلك تتمكن المجلة من توجيه الطفل نحو التيار الذى ينسجم مع ثقافة وقيم المجتمع الذى يعيش فيه .

كما تتميز المجلة بأنها تستخدم وسائل الطباعة الحديثة ، وقواعد الإخراج الصحفى وفنونه ، بكل ما فى ذلك من مظاهر جذابة فى ترتيب الصفحات ، وطريقة شيقة فى عرض الموضوعات والدراسات ، وأساليب متنوعة لجذب

القارئ ، وهى بذلك تقوم بدور هام ورئيسى فى تنمية خبرات الأطفال فى مجال القراءة .

إن المجلة بهذه الصورة ، قد تكون أقدر من الكتاب على تقديم المعلومات وتحويلها إلى مواد سهلة الفهم ، وإن كانت تفتقد الشمول والعمق اللذين يتميز بهما الكتاب عادة .

إن المجلة تقوم بدور مكمل للكتاب ، وتقود بالضرورة إلى الكتاب ، لأنها بما تمثله من جاذبية وملاحقة للأحداث وتعدد فى الموضوعات ، تستطيع تسهيل عملية تعلم القراءة وتنمية الاعتياد عليها ، وترسيخ المهارات التى تجعل من القراءة عملية منتجة ومثمرة .

لكن المجلة لا يجب أن تمثل السلطة بالنسبة للطفل ، فلا يجب أن تكون تكراراً للسلطة المدرسية أو السلطة الأبوية . فإذا كانت التربية الاجتماعية تحتم على الطفل أن يخضع لمثل تلك السلطات ، فإنه إذا أحس من المجلة مثل تلك السلطة ، فسينفر منها ويعاديها دون أن يجد رادعًا يحول بينه وبين ذلك .

فلابد أن يشعر الطفل أن المجلة شىء خاص به ، موجَّه إليه شخصيًا ، يحبها ، ويتفاعل معها ، ويتأثر بها ، وليست مجرد استكمال للنصائح الأبوية .

وتعتمد مجلات الأطفال على الرسوم إلى حد كبير ، لأنه عن طريق الرسوم ننمى خيال الأطفال وندفع إلى الأمام قدراتهم على الإبداع ونشوقهم إلى القراءة .

مواصفات مجلة أطفال مُعِينَة للمنهج المدرسى

لا توفر المدرسة للطفل إلاّ القدر الأساسى المحدود من المعارف التعليمية ، أما تنمية الطفل – فنيًّا واجتماعيًّا وقوميًّا ، مع تثقيفه وتسليته – فإن دور المدرسة فى كل هذا على مستوى العالم العربى ، لا يزال فى بداية طريقه . ويمكن لمجلات الأطفال أن تعالج النقص فى هذه النواحى .

كما أن هناك نقصًا شديدًا فى مجلات الأطفال التى تصدر فى كل بلد من البلاد العربية . ولا شك أن كل إضافة لما يَصْدُر من هذه المجلات ، هو فى صالح تنمية الوعى والثقافة وحب القراءة لدى أطفالنا .

كما أن مجلة للأطفال تعنى بالمنهج المدرسى هى وسيلة ناجحة للتخفيف من جديَّة وجفاف وعدم جمال إخراج الكتاب المدرسى .

ولعل أشد مراحل الطفولة حاجة إلى مجلات تكمل المنهج المدرسى وتعينه هى

مرحلة السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية ، والسنوات الأولى من المرحلة الإعدادية ، وهى مرحلة يكون فيها عمر الأطفال بين التاسعة إلى الثالثة عشرة .

كما أن مجلة موجهة إلى أطفال هذا العمر ، قادرة على أن تعوض إلى حدٍّ ما ، قلة المادة القرائية المتاحة لدى أطفال القرى أو المدن البعيدة أو الأحياء الفقيرة فى العواصم ، ذلك أن القدرة الشرائية لهؤلاء الأطفال محدودة ، بل إن بعض أطفال القرى لم يشاهدوا فى حياتهم مجلة أطفال .

ولكى تصل مثل هذه المجلة إلى الأطفال الذين لا تصل إليهم مواد قرائية ، أو الذين لا توجد مواد قرائية كافية فى محيطهم ، لا نعزال أماكن تواجدهم بعيداً عن المكتبات العامة ، أو عن مراكز توزيع الصحف والمجلات ، أو بسبب عدم اهتمام الوالدين بتزويد أبنائهم بتلك المواد القرائية ، فإنه لابد من ربط نظام توزيع مثل هذه المجلة بالمدارس ، خاصة المدارس الابتدائية ، حيث يتأكد الوصول إلى أكبر عدد من الأطفال ، بل إلى كل الأطفال ، خاصة فى البلاد التى يقوم فيها نظام الإلزام بالنسبة للالتحاق بالمرحلة الابتدائية من التعليم .

فلابد من وضع نظام يضمن وصول هذه المجلة إلى المدارس كافة . ولعل أفضل طريقة للتوزيع هى إرسال أعداد المجلة بالبريد ، على أساس أن تدفع المدارس اشتراكها مقدماً مع تكلفة الإرسال بالبريد .

طريقة إخراج المجلة المقترحة :

من المهم أن نراعى « قطع الورق » المريح للطفل . والذى يساعد فى نفس الوقت على تقديم صور كبيرة المساحة وحروف واضحة . لأن الرسوم الصغيرة تحد من خيال الطفل ومن انطلاق الفنان والرسام . كما أن الحروف الصغيرة ترهق الطفل وتنفره من القراءة .

ولعل المقاس الذى يكون فيه عرض المجلة بين ١٨ و ٢٢ سم ، وطولها بين ٢٨ و ٣٣ سم هو المقاس المناسب ، تبعاً لنوع الورق المستخدم وإمكانية تطبيقه وقصه بدون خسارة أو هالك.

ويجب ألا تقل نسبة الرسوم إلى الكتابة عن ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من مساحة كل صفحة. لأننا عن طريق الرسوم ، ننمى خيال الأطفال ، وندفع إلى الأمام قدراتهم على الإبداع ، ونشوقهم للقراءة.

كما يجب أن تكون الرسوم واضحة بسيطة قريبة من الواقع ، يشيع فيها روح المرح ، تنمى الإحساس بالتذوق الفنى لدى الطفل.

ويجب تجنب أسلوب الهزليات (الكومكس) ، برغم أن ذوق الأطفال العام أصبح يتفق فى أغلبه على طلب المجلات التى تقدم موضوعاتها فى شكل هذه القصص المرسومة المسلسلة. إن هذه الصور الكثيرة المتتابعة المتلاصقة ، ذات الحوار القصير داخل نفس هذه الصور ، قد أصبحت تجنى على كثير من القيم التربوية والفنية : إنها تُحرِمُ الطفل متعة القراءة الجادة ، وتعوده على القراءة غير الأدبية السريعة الركيكة ، بالإضافة إلى ذلك التعبير الساذج الذى تلجأ إليه تلك الرسوم لبيان مختلف مواقف القصص ، وهو مع سذاجته يسجن خيال الطفل ، ويحرمه حقه فى التخيل وفى إطلاق هذا الخيال.

وإذا استخدمنا الصور المتتابعة فى بيان أحد الموضوعات ، فلتكن الصور كبيرة واضحة ، جيدة الرسم ، ولتكن الكلمات تحت الصور لا فى داخل الصور ، بحيث نجد أمامنا نصًّا أدبيًّا متكاملا ، لا تقوم الصور فيه بديلا عن عباراته وكلماته.

ويحسن أن تستخدم المجلة حجم الحروف المستخدمة فى كتب المطالعة العربية للسنة الخامسة ، والسادسة الابتدائية. ويمكن استخدام كتابة الخطاط ، بخط النسخ ، من حجم تلك الحروف ، أو أكبر قليلا. وتستخدم الخطوط الجميلة

الواضحة فى العناوين .

ولنستخدم اللغة العربية الفصحى البسيطة ، التى تساعد على نمو قاموس الأطفال اللغوى ، ولا نستخدم اللغة العامية . ويراعى أن تزيد نسبة الأفعال وما يعبر عن استخدام الحواس عن نسبة الضمائر أو ما يعبر عن المعنويات .

كذلك يراعى ألاّ يزيد أى موضوع فى المجلة على صفحتين ، ويحسن أن يقتصر عدد من الموضوعات على صفحة واحدة ، على أن تخصص أكثر من صفحة لتقديم أكثر من فقرة واحدة .

كما أنه لا ينقص من قيمة المجلة أو من الإقبال عليها ، أن يكون ورق الغلاف من نفس نوع ورق صفحات المجلة .

المواد المناسبة للمجلة :

أولا : تتكون المجلة من ١٦ صفحة بالغلاف ، فهذا هو الحجم الاقتصادى الأمثل لمثل هذه المجلة . ويخصص الغلاف الأول لاسم المجلة ، مع لوحة كبيرة ترتبط بأحد موضوعات العدد ، مع العناية الشديدة بجمال رسم الغلاف وألوانه ، لأن جمال الغلاف عنصر حاسم فى إقبال الأطفال على قراءة المجلة والارتباط بها .

أما الغلاف الأخير ، فنرى ، لقلة عدد صفحات المجلة ، أن يُستخدم فى مادة تحريرية .

ثانياً : التمثيل من أحب الأنشطة إلى الأطفال ، لارتباطه بنشاط اللعب الإيهامى أو التخيلى ، وبالتالى فهو من أكثر الوسائل التربوية نجاحاً فى جعل التلاميذ والأطفال عناصر إيجابية فى العملية التعليمية . لكن عدم وجود النصوص الملائمة يقف حائلا بين المدرسين وبين توجيه التلاميذ إلى هذا النشاط الخلاق . لذلك نقترح تخصيص صفحتين من المجلة لنشر نص مسرحى مناسب للأطفال من

سن ١٠ إلى ١٢ سنة .

وإذا كان النصّ مرتبطاً بالمنهج المدرسى ، فيجب أن يُرَاعَى فى رسم الشخصيات واختيار العقدة أن تصلح المسرحية - ليس فقط للسنة الدراسية التى اقتبسنا من منهجها موضوع المسرحية - بل أن تكون مشوقة لطلبة مختلف الفرق الدراسية بما تحتوى عليه من قيم درامية وإنسانية عامة : أى أننا نحذر من أن يكون النص المسرحى مجرد صياغة للمعلومات فى شكل حوار ، بل لابد أن تتوافر لمثل هذا النص كل عناصر العمل الفنى المتكامل . كذلك يمكن نشر نصوص خارج المنهج المدرسى .

ثالثا : لابد من فتح السبيل أمام الأطفال والمدرسين معاً لاستخدام مختلف الوسائل التعليمية ، لتسهيل استيعاب المناهج المدرسية . لذلك يمكن أن تتضمن المجلة موضوعاً ، فى صفحة واحدة ، يوضح للأطفال (وهو توضيح للمدرسين أيضاً) : كيفية تحويل أحد الدروس إلى مسرحية ، أو طريقة عمل مجلة حائط ، أو بيان وسائل صنع عرائس القفاز (الجوانتى) ، أو تقديم إرشادات حول خبرة مهنية مثل الخياطة أو النجارة ، أو تقديم البيانات لتنمية هوايات الجمع أو الادخار (مثل جمع الطوابع أو تربية طيور الزينة أو دودة الحرير أو الحمام) ، أو كيفية إجراء تجربة فى نادى العلوم ، أو كيفية صنع نماذج الطائرات أو الصواريخ .

رابعاً : إن تنمية الميول والاتجاهات الأدبية شىء أساسى وهام ، لذلك لابد من الاهتمام بنشر قصة قصيرة ذات صياغة فنية ممتازة ، ومغزى علمى أو أخلاق أو دينى بشرط أن يجىء هذا المغزى بطريقة فنية ، مع مراعاة الاهتمام الشديد باللوحة أو الرسوم التى تنشر مع هذه القصة . ونقترح أن يخصص للقصة والرسوم المرافقة لها صفحتان من المجلة .

خامساً : يبدأ الطفل فى هذه المرحلة فى البحث عن البطل والمثل الأعلى ،

فلابد أن نقدم له – فى صفحة واحدة – أحد هذه النماذج ، من الواقع المعاصر أو من التاريخ . لنؤكد المثل والقيم التى يهمنا أن ننميها فى أطفالنا ، وذلك من خلال موقف أو مواقف فى حياة شخصية بارزة علميًّا أو رياضيًّا أو فنيًّا أو دينياً .

سادساً : كذلك يجب تنمية تذوق الأطفال لمختلف الفنون ، بتقديم نماذج من اللوحات الفنية والتماثيل المشهورة ، مع التعليق عليها ، وتعريف الأطفال بالآلات الموسيقية ، وبأشهر المقطوعات الموسيقية ، وبقصص الباليه والمسرحيات والروايات المعروفة ، مع تقديم نماذج سهلة من الشعر والأغانى ، لتنمية تذوق الأطفال لهذه الفنون . ويمكن تقديم أكثر من فقرة حول هذه الموضوعات ، وذلك فى صفحة واحدة .

سابعاً : لابد من الاهتمام بالثقافة البدنية ، لخلق العادات الصحية التى تدور حول المشى والنوم والجلوس والمذاكرة وتناول الطعام ، مع ربط هذه العادات بمختلف مواد المنهج ، مع تقديم وصف لبعض التدريبات البدنية ، وتوضيح فائدة كل منها . ونقترح تخصيص صفحة واحدة للثقافة الصحية والرياضية ، تتضمن موضوعاً واحداً أو عدة فقرات .

ثامناً : تتجه اهتمامات الأطفال فى هذه السن إلى التعرف على ما هو خارج محيطهم المعتاد ، لذلك لابد أن ندفع الأطفال للخروج من دائرة المنزل أو المدرسة لاكتشاف أماكن جديدة فى بلدهم ، قد تكون متحفاً أو منطقة أثرية ، أو مشروعاً صناعيًّا ، أو محطة تجارب زراعية ، وذلك بأن نقدم باباً – فى صفحة واحدة – تحت عنوان « زيارة إلى . . . . » ، وأن نربط هذا بحفز الأطفال للبحث عن معلومات أكثر فى كتب المكتبة المدرسية حول موضوع الزيارة .

تاسعاً : لابد من تدريب الطفل على اختيار أفضل الكتب وأفضل الأفلام ، وأفضل برامج الإذاعة أو التليفزيون ، لذلك يمكن تخصيص صفحة لتوجيه اهتمام

الأطفال إلى ما يناسبهم فى برامج هذه الوسائل الإعلامية والثقافية ، وذلك كوسيلة لتنمية قدراتهم على الاختيار ، وعلى التمييز بين الجيد والسيئ فيما تُقَدِّمُه هذه الوسائل من مواد .

عاشراً : يحب الطفل الحركة واستخدام مختلف حواسه وقدراته للتعرف على العالم المحيط به ، ولقضاء وقت فراغه ، وعلى المجلة أن تعاون الطفل على اكتساب مهارات جديدة ، ويكون هذا رائدنا فى اختيار الألعاب والفوازير والتسليات والهوايات .

لذلك فمن المهم أن نقدم فى كل عدد إرشادات عن لعبة جماعية يمكن أن يلعبها الطفل مع زملائه فى الفصل أو خارجه .

وأن يتضمن كل عدد من أعداد المجلة عدداً من الأسئلة والفوازير التى يمكن تقديمها بطرق وأساليب مختلفة ، والتى تشجع الأطفال على البحث عن إجاباتها فى مكتبة المدرسة أو من البيئة ، وذلك فيما يرتبط بالمواد الدراسية كلما أمكن .

إن لعبة مثل « الكلمات المتقاطعة » ، إذا كانت كلماتها تدور حول التاريخ والجغرافيا والعلوم وموضوعات كتب المطالعة ، يمكن أن تكون ذات فائدة كبيرة .

كذلك الفوازير الخاصة بالأرقام ، لما تتيحه من تنمية القدرات فى مجال الرياضيات . والفوازير الخاصة بالأشكال لما تتيحه من تنمية الخيال التشكيلى أو الهندسى . ونقترح تخصيص صفحتين لعدد من الفقرات لا يقل عن أربعة ، ويمكن أن يصل إلى ستة أو سبعة تدور حول هذه الموضوعات .

أحد عشر : حب المرح سمه مميزة لنفسية الأطفال ، والفكاهات المرسومة بالكاريكاتير من أحب الموضوعات إليهم ، خاصة بعد سن ٨ سنوات ، لذلك نقترح تخصيص صفحة لعدد من الرسوم الكاريكاتيرية ذات المضمون الفكاهى والتوجيهى معاً .

ثانى عشر: لابد من ربط الطفل ببيئته ، مع ضرورة تعريف أبناء المدن بمشاكل أبناء الريف . لذلك نرى تخصيص صفحة حول أحد الموضوعات التى تتناول بيئة الطفل فى الريف ، ليزداد فهماً لها ووعياً بطريقة التعامل معها .

ويمكن تقديم هذا الموضوع بطريقة الرسوم المسلسلة ، بشرط أن يكون التعليق تحت الصور وليس بداخلها ، وباللغة العربية السهلة السليمة .

ثالث عشر: يجب الاهتمام بأن تجىء الثقافة الدينية والأخلاقية بين ثنايا مختلف الموضوعات الأخرى ، مع تخصيص صفحة للثقافة الدينية ، ويفضل أن تقدم على شكل عدد من الفقرات القصيرة المنفصلة ، يتناول كل منها فكرة واحدة بسيطة سهلة الاستيعاب .

* * *

ونود أن نشير إلى أنه من السهل على الكاتب الذى يستوعب جيداً مواد المنهج المقرر على السنتين الخامسة والسادسة الابتدائية ، أن يجد موضوعات كثيرة يمكن أن يستفيد بها عند صياغة موضوعات المجلة التى اقترحناها فيما سبق ، بحيث تكون صياغته لها متفقة مع قواعد الفن ، ومشوقة للقارئ حتى لغير الملتحقين بإحدى هاتين السنتين الدراسيتين . ذلك أن المضمون الجيد لابد أن يُقَدَّم أيضًا بأفضل الطرق الفنية .

أدب الأطفال وعقدة شهريار

ونحن نتحدث عن مجلات وكتب الأطفال ، لابد أن نقف وقفة متأنية أمام ظاهرة متفشية حولنا . فالرجل فى مجتمعنا يرى ، مثل شهريار ، أن المرأة قاصرة ، وغير مكتملة الشخصية ، وأنها أضعف منه . وكثيراً ما نتساءل عن السر فى « استمرار » هذه النظرة من الرجل إلى المرأة ، برغم تغير كثير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمرأة .

تجيب على هذا التساؤل دراسة بعنوان « مجلات الأطفال العربية وتُكوين المفاهيم » .

اكتساب وليس وراثة :

وتبين هذه الدراسة الميدانية ، التى قامت بتحليل عينات من مجلات وقصص

الأطفال ، أن تربيتنا للأطفال بمختلف صورها هى التى تضخم دور الرجل ، وتقلل شأن المرأة ، وأن هذا التصور الذى تقدمه التربية ، ينعكس على الفتاة نفسها ، فتقتنع بأن هذه هى طبيعتها الحقيقية .

فالأمر إذن ليس أمر وراثة أو طبيعة فطرية ، بل هو تصور يكتسبه أفراد المجتمع من خلال التربية فى مرحلة الطفولة .

وتقدم الدراسة التى قام بها الباحث « حازم النعيمى » الدليل على ذلك ، بتحليل عينات من مجلات الأطفال المصرية ، والتى ترأس تحريرها سيدات .

شخصيات الأبطال :

وتبدأ الدراسة بإبراز حقيقة غريبة ، هى أنه لا توجد مجلة أطفال عربية اسمها مؤنث ، بل كلها مذكرة ، مثل ميكى ، تان تان ، سمير ، أسامة ، حسن ، ماجد ، سعد ! ! وهى فى نفس الوقت أسماء البطل الرئيسى لكل مجلة .

ومن تحليل عينات من مجلات الأطفال ، تبين أن من بين ٨ شخصيات رئيسية فى مجلد يضم ١٢ عددًا ، توجد فتاة واحدة . وتبين أن نسبة الشخصيات النسائية إلى مجموع شخصيات القصص ١٣٪ ، فى حين أنَّ نسبة شخصيات الرجال ٨٧٪ .

وظائف الرجل والمرأة :

وبالنسبة للوظائف التى حددتها القصص لكلٍّ من المرأة والرجل ، تبين أن مهن ووظائف الرجال تشمل أغلب أنواع النشاط الاجتماعى والاقتصادى مثل : طبيب ، عالم ، مخترع ، ضابط ، كشّاف ، رئيس عصابة ، رياضى . على حين أن الأعمال المخصصة للمرأة قليلة جدًّا ، لا تتعدى الوظائف المساعدة غير الهامة ، مثل : مضيفة ، سكرتيرة ، تلميذة ، خادمة ، جاسوسة .

الصفات والسلوك :

وبالنسبة للسلوك والصفات الشخصية فى القصص المقدمة للأطفال ، تبين أن الصفات الإيجابية للرجل أكثر بكثير من الصفات الإيجابية بالنسبة للمرأة . كذلك فإن الصفات السلبية للرجل تُنسب لشخصية ثانوية بهدف إبراز الصفات الإيجابية لبطل القصة ، أما الصفات السلبية للمرأة ، فهى لصيقة بها ، وغالبة ، والصفات الإيجابية طارئة ونادرة ، فلم تظهر مثلا إلاّ فى حوالى ثلاث قصص من **٥٣** قصة . فنحن نرى دائماً شخصية البطل الذكر ، فى مجلات الأطفال ، ذات طابع حيوى فهو ذكى ، قوى ، نشيط ، مكافح ، مخلص ، شجاع ، مغامر ، مستقل ، حسن التصرف ، مع وجود بعض « الفهلوة » والإجرام والغرور فى تصرفاته أحياناً ، وهو صاحب الكلمة الأخيرة فى القصة والموضوع ، أما المرأة فهى مؤدبة ، ومطيعة ، ومضحية ، وضعيفة ، وتستحق العطف . وفى أحيان قليلة ، لديها بعض الذكاء وحب الرياضة والعمل .

تصحيح الاتجاهات :

إن هذه المجلات والقصص تترك انطباعاً عامًّا لدى الأطفال ، البنات والأولاد ، بأن الرجل هو العنصر الأفضل والحيوى ، والمرأة العنصر الأقل شأناً والسلبى فى المجتمع .

هذا فى حين أن المطلوب من أدب ومجلات الأطفال أن تقوم بتصحيح اتجاهات المجتمع الخاطئة ، وأن تنمى فى الأطفال المفهوم الصحيح لوظيفة المرأة ، وقدراتها ودورها فى بناء المجتمع .

الواقع الفعلى لمجلات الأطفال

يعود رواج مجلات الأطفال ، إلى أن الطفل يجد فيها أشياء كثيرة تعوضه عن نقص الخبرة ، أو عدم إجابة الوالدين عن أسئلته ، أو نقص فرص اقتحام الحياة ، فتقدم له قصصاً فى صور متتابعة أو مغامرات أبطال فى البحار والغابات والجبال ، وقصصاً واقعية وقصصاً مسلية أو فكاهية وموضوعات رياضية .

لكن كثيراً من الناشرين يقدم هذه الموضوعات بطريقة لا يهمه فيها إلا جذب اهتمام القارئ الصغير ، حتى لقد أصدرت فرنسا فى عام ١٩٤٥ قانوناً خاصًا بمطبوعات الأطفال جاء فى المادة الثانية منه ما يلى :

« ويجب ألاّ تحتوى المطبوعات المخصصة للأطفال أو المراهقين على قصص أو صور أو تقارير أو فقرات أو تعليقات تتضمن الإشادة بأعمال اللصوصية أو الكذب ، أو السرقة ، أو الجبن ، أو الكراهية ، أو الفجور ، أو أى أعمال

أخرى مكونة للجريمة أو المخالفات التى يحتمل أن تفسد أخلاق الأطفال أو المراهقين ولا يجوز أن تحتوى على إعلان أو دعاية عن مطبوعات قد تفسد أخلاق الأطفال أو المراهقين » .

ويؤكد الواقع الفعلى أن معظم مجلات الأطفال لا تقوم بدورها الحيوى والهام بل تقوم بعكسه ، ويكفى هنا أن نشير إلى مؤتمرَيْن عُقِدا فى مدينة ميلانو بإيطاليا الأول فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ والثانى فى مارس سنة ١٩٥٢ لبحث موضوع الرقابة على صحف الأطفال ، وانتهى المؤتمران إلى توصيات يتضح منها مدى ما ساد مجلات الأطفال فى العالم من انحراف عن رسالتها وغايتها . فقد جاء فى تلك التوصيات ما يلى :

١ – نظراً لما لاحظته اللجنة على صحف الأطفال من تصويرها الحياة لقرائها على أنها سلسلة طويلة من الفخاخ المؤذية التى يجب عليهم أن يكافحوا لتفاديها ، ومن الكفاح الدائم « للانتقام » للأرامل واليتامى ومن إليهم ، فإنها تناشد هذه الصحف الحد من عنف موضوعاتها وأن تفضل عليها الموضوعات الهادئة المتزنة .

٢ – إن ترويج الأدب الذى يصور التَّعَس والشقاء من شأنه أن يوقع جمهور الأطفال فى حيرة ، فإما أن تخور عزائمهم وتتخاذل أمام ما ينتظرهم من أعمال ، وإما أن يندمجوا فى الجو الذى يصوره هذا الأدب ويحاولوا أن يتقمصوا هذه الشخصيات الحزينة التى ترسمها لهم صحفهم .

٣ – إن ضرورة وقوع سلسلة متصلة من حوادث العنف الجنونية ، قبل أن ينتصرَ البطل الذى يأخذ بناصر « المظلومين » فى القصة ، مسألة تحتاج إلى بحث . ولا يكفى أن تنتهى القصة بعقاب المجرم أو الخائن ، بل ينبغى أن يكون سلوك أشخاص القصة من بدايتها إلى نهايتها سلوكاً سويًّا لا شذوذ فيه (لأن الأطفال يتأثرون بالقدوة المتمثلة فى أحداث القصة ، أكثر كثيراً مما يتأثرون بعبارة تدين

الأفعال الخاطئة تقال فى نهاية القصة) .

٤ – إن التمييز التعسفى المحض بين قُطّاع الطريق والأبطال المناصرين للمظلومين ، دليل على جدب الخيال (بمعنى أنه لا يوجد فارق حقيقى فى قصص تلك المجلات بين النوعين) فيجب أن يكون لكل من النوعين مزيد من الفردية ، كما يجب أن يكون سلوكه متفقاً مع شخصيته .

٥ – يبدو أن أعمال أشخاص الرواية فى المعسكرين المضادين لا تنبعث إلاّ عن الضغينة أو الجشع ، مع أن هناك بواعث أخرى يمكن أن تضاف إلى هذين الباعثين .

٦ – فى هذه الشخصيات هزال فكرى ، لا يضارعه إلا فقرها العاطفى المدقع .

٧ – يبدو هذا الهزال الفكرى فى الرسوم ، فكثيراً ما نرى الأشخاص فيها يسلكون سلوكاً حيوانيًا خالصاً .

٨ – تدور جملة القصة دائماً حول القتل ومحاولة بعض الأفراد الاعتداء على حياة الناس ، ومن شأن هذا أن يحدث فى نفوس الأطفال عقدة الاعتداء ، وينفرهم من المجتمع بشكل قاطع .

٩ – كثيراً ما تقف المسلسلات وتنتهى عند عمل من أعمال العنف أو الجريمة (وهو ما يؤدى إلى تصوير العنف تصويراً مبهراً ، وكأنما فيه حل لكل المشاكل) .

١٠ – الشعور العنصرى واضح جدًّا فى صحف الأطفال (أى أنها تؤكد أفكار التمييز العنصرى كما فى قصص طرزان) .

١١ – يُصَوَّر الزنوج فى هذه المسلسلات وهم يسلكون سلوك الحيوانات ، ويبدو البيض دائماً أرفع منهم وأسمى .

١٢ – يخترع الكاتب قصصاً خيالية دون سند عقلى أو أساس علمى (كما فى قصص سوبرمان أو الوطواط وأمثالهما من الشخصيات الخارقة للطبيعة) .

١٣ - يتسم الأبطال عادة بالوحشية والتجرد من الخوف أو الرحمة أو الحاجة إلى المال .

١٤ - إن الصور أصبحت تحتل مكان الكلام فى جميع صحف الأطفال (مما يضيع على الأطفال الفرصة لتنمية ثروتهم اللغوية ، ويصرفهم عن بذل أى جهد فى تعلّم القراءة ، ويجعل الكتب تبدو لهم ثقيلة ومملة) .

* * *

وفى تقرير هام جدا صدر عام ١٩٥٣ عن اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة) ، وهو تقرير عن صحف الأطفال وأفلامهم واذاعاتهم فى مختلف بلاد العالم ، بيَّنَ التقرير الأضرار الجسيمة التى تقدمها مجلات مثل : طرزان ، وسوبرمان ، والوطواط ، وأكد التقرير أن صحف الأطفال بشكلها الحالى ، تعد بغير شك فى الدرجة الثانية من حيث الوحى والإلهام ، فضلا عن خلوها من الأفكار الجديدة ، وأنها تُبدِى تساهُلاً لاحد له فى سبيل إرضاء ذوق جمهورها ، الذى يزداد ميله إلى المغامرات ويتناقص ميله إلى بذل أى مجهود ذهنى .

ثم قال التقرير : « ويجب اعتبار أسطورة الرجل الخارق للطبيعة من المواد الواجب حذفها - يجب أن يختفى هذا الرجل لتحل محله مخلوقات إنسانية معقولة قريبة إلى الواقع . أما شخصية راعى البقر ، فيمكن استخدامها مع تجنب الأثر البالغ الضرر الذى تحدثه شخصية الرجل الخارق للطبيعة . وطالما كانت القصص المستمدة من التاريخ لا تنطوى على تشويه كامل أو جزئى للحقائق ، فإنها تصلح لتعليم الأطفال . وينبغى ألا تبالغ قصص الحرب فى تمجيد القوة الغاشمة أو تنغمس فى مشاهد مفزعة لا مسوغ لها . ويجب تقديم النواحى الاجتماعية والإنسانية على ما عداها ، كما ينبغى أن تتخذ القصص البوليسية شكلا آخر يكون

التوتر فيه قائماً على النواحى المرحة أو الروائية . وآخر ما نذكره وإن لم يكن أقله شأناً ، أنه يجب أن يُبذل كل جهد ممكن لتحسين قصص الرسوم الفكاهية ، والقصص المضحكة فى صحف الأطفال . فإذا أمكن رد الشعور بالضوء والظل إلى القراء والصغار ، والمحافظة على قدرتهم على قبول الأقاصيص الخيالية الرقيقة ، أمكن النهوض بمستوى جودة صحف الأطفال وتحسين طريقة عرضها » .

* * *

وفى العالم العربى ، نجد كثيراً من المجلات المترجمة التى لا تهدف إلا إلى زيادة التوزيع على حساب أية قيم أو معرفة يهمنا أن نغرسها فى أطفالنا ، بل هى كثيراً ما تنمى قيماً ضارة ومضادة لقيم مجتمعنا .

وحتى لو غضضنا الطرف عما ينشر بتلك المجلات أحياناً مما لا يلائم أطفالنا ، فهى على أى الأحوال لا تتبنى ما يهمنا أن نغرسه فى أطفالنا ، ولا تؤكد على العادات والقيم التى لابد للطفل العربى أن يعايشها فى مجلته التى يطالعها كل أسبوع .

كما أن هناك نقصاً شديداً فى مجلات الأطفال التى تصدر فى كل بلد من البلاد العربية .

لذلك صدرت التوصية التالية عن حلقة « العناية بالثقافة القومية للطفل العربى » التى عقدت فى بيروت فى شهر سبتمبر ١٩٧٠ ، تحت رعاية الإدارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية :

أولا : أن تتبنى جامعة الدول العربية مشروع إصدار سلسلة من ثلاث مجلات للأطفال تصدر شهريًا على الأقل على مستوى الوطن العربى تخاطب أطوار الطفولة المختلفة (من ٣ إلى ٦ – ومن ٧ إلى ١١ – ومن ١١ إلى ١٥) على أن يقوم بتحريرها متخصصون من جميع الدول العربية . وأن تعنى بالجانب القومى

والثقافى والعلمى .

ثانياً : وقف صدور المجلات الأجنبية المترجمة ، والتى لا تتفق مع قوميتنا وعاداتنا ، والثقافة المطلوب تقديمها للطفل العربى .

ثالثا : تيسير وصول المجلات المحلية الصالحة إلى مختلف أرجاء الوطن العربى ، مع توجيه المشرفين عليها إلى الاهتمام بالنواحى العلمية .

الطفولة والبطولات القومية

الراشدون وتكوين قيم الأطفال :

فى هذا الفصل ، نقدم نموذجاً لأسلوب معالجة أحد الموضوعات الأساسية فى كتب ومجلات الأطفال ، هو موضوع النموذج أو القدوة ، خاصة فى مجال البطولات القومية .

فأبحاث علماء النفس تؤكد أن القدوة أو المثال أحد العناصر الأساسية الحاسمة فى تشكيل وتحديد معظم القيم والاتجاهات والأخلاقيات وطرق السلوك لدى الأطفال .

إن نظريات علم النفس تؤكد على أن بناء الشخصية وتكوين الذكاء والقدرات العقلية لدى الأطفال . إنما هى انعكاس للواقع الثقافى المحيط بهم . وأن خصائص الشخصية والمستويات العقلية . لا تتوفر للفرد منذ طفولته فى شكل

عناصر وراثية ، أو فى شكل خصائص جاهزة الصنع ، وإنما تتشكل فى مواقف وظروف اختلاط الطفل بالكبار ، فى عمليات استيعاب الخبرة الإنسانية العامة .

إن المجموعة الاجتماعية التى ينتمى إليها الطفل ، هى التى تحدد إلى حد كبير سلوكه وخلقه فى المستقبل ، فالجماعة هى التى تعطى القيم لبعض الاتجاهات وأساليب السلوك ، ثم تربى الصغار على تقديرها : وهذا هو السبب فى اختلاف الأطفال باختلاف البلاد والبقاع التى يولدون ويشبون فيها .

* * *

وفى السنوات السابقة على المراهقة تستمر عملية تكوين فكرة المرء عن نفسه من حيث علاقته بالآخرين . ويرتبط تطور نمو هذه الفكرة إلى حد كبير باتجاهات « الغير » من الآباء والمدرسين والراشدين .

ونظراً لافتقار الأطفال إلى معيار موضوعى لتقييم الذات ، فإنهم يعتمدون على ما يعتقدون أنه الصورة التى يريدهم الآخرون أن يكونوا عليها ، بالتالى فهم يعتمدون على التشبه بسلوك الراشدين وقيمهم ، وما يتصورون أنه فكرة الكبار عنهم .

التعلق بالأبطال أبرز مظاهر تأثر الأطفال بسلوك الراشدين :

ومن أبرز مظاهر السلوك التى تؤكد اتجاه الأطفال إلى التشبه والتأثر بمن يحيطون بهم ، ظاهرة التعلق بالأبطال ، التى تبدو كأوضح ما تكون فى بداية سنوات المراهقة .

فقد دلت الدراسات الخاصة بموضوعات القراءة التى يميل إليها الأطفال ، أنه سواء بالنسبة للأولاد أو البنات ، فإنهم يميلون ميلا كبيراً ، فى جميع الفرق الدراسية ، نحو سير الأبطال .

وفى بحث أجراه فى مصر الدكتور محمد حامد الأفندى حول « موضوعات القراءة » دلت الاختبارات على أن الطلاب من البنين فى السنوات الدراسية الثلاث من الدراسة الثانوية ، يفضلون فى المرتبة الأولى ، قصص البطولة - أما بالنسبة للبنات ، فإنهن ، فى السنة الأولى الثانوية قد فضلن فى المرتبة الأولى ، قصص البطولة والموضوعات العاطفية . وفى السنتين الثانية والثالثة ، فضلت البنات فى المرتبة الأولى الموضوعات العاطفية ، وقصص البطولة فى المرتبة الثانية .

كذلك يقلد الأطفال نجوم السينما ، فيحاكونهم فى سلوكهم وملبسهم وتصفيف شعر رأسهم ، وفى اتجاهاتهم وطرق حديثهم ، كما يستعيد الصغار مشاهد الأفلام ويقومون بأدوار الممثلين فى أثناء لعبهم . ويكتسب المراهقون من ملاحظة سلوك الممثلين فى المواقف الاجتماعية ، عادات اجتماعية جديدة فى حياتهم اليومية .

التعلق بالأبطال أحد مظاهر سلامة النمو :

إن الأطفال منذ بداية المراهقة يأخذون فى الابتعاد ، إلى حد ما ، عن الأمور الوجدانية والخيالية وتزداد عنايتهم بالحقيقة الواقعة وتظهر عندهم بقوة غريزة المقاتلة وحب السيطرة . ويشترك الطفل مع غيره من الأطفال فى جماعات ، مغامراً فى عمل من الأعمال ، أو محارباً لفرق أخرى ، أو مشتركاً فى ألعاب تظهر فيها المنافسة والشجاعة ، ويكون اهتمام الأطفال بالأبطال واحداً من أبرز صور التعبير عن هذا الاتجاه نحو ارتكاز خيالهم على عناصر واقعية .

إن بروز طفل ليكون زعيماً بين جماعة الأطفال الذين يحيطون به أمر شائع ومعروف . هذا الزعيم أو القائد بين الأطفال هو ذلك الشخص الذى يستطيع أن يكون له أتباع ومريدون نتيجة تأثيره عليهم .

وفى فترة الطفولة المبكرة ، نجد الزعيم هو أكثر الأطفال عنفاً وعدواناً وسيطرة .

وفى أواخر هذه المرحلة ، وأوائل مرحلة البلوغ ، تذهب السلطة عن هؤلاء الزعماء تدريجيًّا ، ويبدأ الطفل فى الشعور بذاتيته ، مع ما يصاحب هذا من تغير فى نظرته إلى الزعامة . إنه يريد من زعيمه شخصاً يمكن التعاون معه ، لا شخصا يسيطر عليه ، شخصاً يؤثر فيه ، ويكون نموذجاً له ، يقدم له القدوة والنصح والإرشاد .

إن البطل الذى يتعلق به الطفل قد يكون مدرساً أو رئيساً لنادٍ ، أو رجل دين ، أو شخصية ليس للأطفال اتصال مباشر بها ، كأحد نجوم الرياضة أو المسرح أو السياسة . وقليل من الأولاد والبنات الأسوياء النمو ، فى مجتمعاتنا الحديثة ، من تخلو حياتهم من هذه الخبرات التى تدور حول عبادة البطل ، والتى يبدو أنها تخدم غرضاً أساسيًّا ، هو مساعدة الفرد فى الانتقال من طور الطفولة إلى طور الرشد . إن هذه الخبرات تزيد من معرفة الطفل بنفسه وبغيره ، وهى تتحول شيئاً فشيئاً من الإعجاب الانفعالى المفرط ، إلى التقدير الواقعى الذى لا تشوبه المبالغات العاطفية .

إن التشبه بالأبطال وبأعمال البطولة : هو تطور صحى بالنسبة لاتجاه خيال الأطفال ، وذلك عندما يتعلقون بموضوعات يجدونها فيما يطالعونه . وفيما يشاهدونه من مسرحيات وأفلام ، وفيما يسمعونه من برامج إذاعية . وذلك بدلا من مرحلة التخيل الحر ، التى هى أحد مميزات مرحلة ما قبل المراهقة .

فبحث الطفل عن البطل أو الزعيم هو تعبير عن حاجة نفسية أساسية لدى الأطفال للعثور على القدوة أو المثال . إنه وسيلة رئيسية من وسائل النمو . والانتقال من مرحلة إلى مرحلة ، وسعى الطفل لأن يكون مقبولا وذا مكانة بين رفاقه . وبذلك يصبح البطل لدى الأطفال عنصراً هامًّا فى تشكيل قيمهم واتجاهاتهم وأخلاقياتهم وطرق سلوكهم .

وبالتالى أصبح على المسئولين عن ثقافة الأطفال وتربيتهم أن يضعوا أمام

الأطفال ، بكل الطرق المتاحة ، نماذج للأبطال فى مختلف نواحى القيم والسلوك ، حتى لا يضل الطفل أو المراهق خلال بحثه عن بطله الذى يقتدى به .

إن كل فرد فى هذا الطور يبحث عن مثل أعلى خلقى أو اجتماعى يقتدى به . وتتعدد هذه المثل بتعدد أنواع الأنشطة والميول والاهتمامات ، وهو ما يستتبع حاجة كل ناحية من هذه النواحى إلى بطل ، يجسم ما يتطلبه المجتمع فى الطفل من سلوك وقيم وأخلاق . لهذا يجب أن نضع أمام الأطفال ، فى هذه المرحلة ، أنماطاً مختلفة من البطولات ، بحيث يستطيع كل طفل أن يعثر على نموذجه الذى يتفق مع أكثر ميوله إلحاحاً وبروزاً .

كيف نقدم البطولات للأطفال :

إن تقديم البطولات للناشئين ، يمكن أن يتم بجميع وسائل الاتصال بالأطفال : بالقصة والكتاب ، بالمسرحية والفيلم ، بالأغنية والأسطوانة ، بالبرامج المسموعة والمرئية ، بالتماثيل فى أفنية المدارس وجوانب الميادين العامة ، بالصور واللوحات فى الكتب أو على جدران غرف الدراسة ، بالنحت البارز والفسيفساء على واجهات ومداخل المبانى العامة ، وقاعات المؤتمرات والمحاضرات ، وأماكن العروض الفنية . بالاهتمام بمختلف مظاهر تكريم الأبطال ، مثل إنشاء المبانى التذكارية العظيمة التى تضم رفاتهم . أو بإطلاق أسمائهم على الأماكن العامة . مثل الميادين والشوارع والجامعات وقاعات المحاضرات والمسارح . أو تحويل مساكنهم إلى متاحف ، وإقامة متاحف تضم مخلفاتهم وتجمع ما أنتجه الفنانون لتخليدهم .

إن الأمر يتطلب تضافر كل هذه الوسائل لنضع أمام الأطفال بصفة مستمرة . وبأقوى الوسائل إلحاحاً وتأثيراً . النماذج البارزة من بطولاتنا القومية فى مختلف

النواحى ، علمية أو اجتماعية أو دينية أو فنية أو عسكرية . نضعها أمامهم فى البيت والشارع والميدان والمدرسة ، فى المسرح ودار السينما ، فى الإذاعة والتليفزيون ، فى الصحف والمجلات والكتب ، بحيث تصل إلى كل الأعمار ، بما يناسبها من قيم وأخلاقيات وسلوك .

ولا يكفى أن نذكر أبطالنا مرة كل عام ، فى ذكرى مولدهم أو وفاتهم أو استشهادهم ، بل لابد من أن نبرز من حياتهم ، بصفة دائمة ، ما نريد أن نعمقه فى أطفالنا من قيم واتجاهات ، عن طريق مختلف الوسائل الفنية والثقافية .

ولنأخذ مثالا على هذا ، بلداً مثل فرنسا . فحيثما اتجهنا ، نجد تمثالا أو صورة لجان دارك ، أو سانت لويس ، أو نابليون . وفى كل مكتبة نجد عشرات الكتب التى تناسب مختلف الأعمار ، تدور حولهم ، وفى كل مدينة وفى كل حى ، نجد المزارات القومية الخاصة بهم ، من كاتدرائيات رائعة ، ومبانى عظيمة تضم رفاتهم ، أو تخلد ذكراهم ، أو متاحف لمخلفاتهم ، حتى أنه يستحيل أن نجد طفلا فرنسيًّا بلغ الثامنة من عمره ، لا يعرف كم أحب هؤلاء الأبطال بلدهم ، وكم ضحوا فى سبيله . ونجد نفس الشىء فى إنجلترا ، حول شخصيات مثل ريتشارد قلب الأسد ، ونلسون ، ولفنجستون ، وفلورنس نايتنجل . ولعل هذه النماذج التى ركزت عليها الثقافة الإنجليزية فى تمجيد أبطالها خلال القرون القليلة الماضية ، كانت من أهم الوسائل التى شكلت بها هذه الأمة الاتجاهات الاستعمارية فى نفوس أطفالها وشبابها .

تراجم الأبطال ، والفرق بينها وبين كتابة التاريخ :

لكن لا شك أن الكتابة الأدبية ستظل أهم الوسائل وأوسعها انتشاراً لتقديم الأبطال وبطولاتهم إلى أطفالنا وشبابنا ، وستظل الكتب المصدر الأساسى ، الذى

تستند إليه مختلف وسائل الاتصال الثقافية الأخرى الخاصة بالأطفال . لذلك فإن ترجمة حياة الأعلام لابد أن تكون واحدة من المشاغل الأساسية لكتابنا ، مع الحرص على ألا تكون كتاباتهم مجرد تسجيل للتاريخ .

يقول فى هذا الدكتور زكى نجيب محمود فى مقال بعنوان « تراجم الأعلام » :

لابد من الترجمة لأعلامنا ، ماضيهم وحاضرهم على السواء ، وإلاّ فمن أين لشبابنا أن يرى الصور التى تكثفت فيها خصائص أمته وملكاتها ؟ إنه لكثير ما قيل عن التربية الخلقية ، إنها تركزت على ركيزتين ، هما : « المبدأ » و « المثال » أما المبدأ فهو الذى تقول به للناس من الوجهة النظرية إنه يجب علينا أن نفعل كذا وأن نستهدف كيت . .

وأما الركيزة الثانية – وهى التى كان ينبغى لها أن تكون الأولى والثانية معاً – فهى « المثال » بمعنى أن تجسد ما تريده من المبادئ فى أشخاص حقيقيين ، عاشوا تلك المبادئ دون أن يرددوا ألفاظها . . والطريقة إلى تقديم « المثال » ، هى أن يضطلع كاتب بترجمة لحياة شخص شهده تاريخنا القديم أو الحديث ، يشهد منه موقفاً عمليًا كان بمثابة التطبيق الفعلى لما نريده لأنفسنا من طرائق الفكر وقواعد السلوك .

والحق أننا لم نغفل قطّ فى أى مرحلة من مراحل تاريخنا الأدبى ، عن كتابة التراجم للنوابغ . . فهل أفلحت تلك التراجم الكثيرة فى ترسيخ « المثال » فى أذهاننا حيًا مجسداً ؟ أخشى أن يكون الجواب بالنفى . .

فإذا التفتنا إلى أدبائنا الكبار ، الذين رفعوا أمامنا صوراً لأبطال ماضينا ، وسألنا : لماذا لم تترك أعمالهم النبض الحى فى نفوس شبابنا ؟ فالجواب الذى أقترحه لهذا السؤال هو : أنهم كتبوا التراجم وكأنهم يكتبون مؤلفات فى التاريخ . . فكان المنهج هو منهج المؤرخ الذى يجمع الوقائع والشواهد والأخبار ويتثبت من

صحتها ثم يرتبها على النحو الذى يجعلها صورة متماسكة . .

لكن لكتابة التراجم طريقة أخرى – لعلها حديثة الظهور فى تاريخ الأدب العالمى كله – وهى طريقة « القصة » . والفرق بينها وبين قصة الأديب الروائى ، هو أن هذه من خلق الخيال ، وأما تلك فتلتزم الواقع الذى وقع ، فترجمة الحياة مزيج من القصة والتاريخ ، فيها من القصة الأدبية طريقتها ، وفيها من التاريخ صدق الوقائع .

مترجم الحياة يقدم لك « شخصاً » فرداً وفريداً فى أفعاله وردود أفعاله ، على شرط أن يكون محور التفرد فى صميم العظمة منه ، لا فى تفاهات الظواهر الحركية والكلامية . . وأن يجعل محور التركيز هو « العمل الذى يجعله عظيماً » .

معنى هذا ، أنه إذا كان باحث التاريخ يلتزم الموضوعية وينقب عن الحقيقة فيذهب إلى المصادر والوثائق والآثار وغيرها من الوسائل الأساسية لكتابة التاريخ ، فإن الأطفال والشباب فى حاجة إلى تفسير الوقائع والأحداث والحقائق على ضوء ما يعيشون فيه من خبرات اجتماعية وسياسية واقتصادية . . ولابد لمن يكتب للأطفال أن يقرن الحقيقة والواقعة ، بما يفسرها وبما يستخرج منها من الاتجاهات والقيم اللازمة فى عملية التربية التى يصيغها الكبار ، من أجل صناعة المواطنة وتخليق صفاتها عند هؤلاء الأطفال والشباب . وليس معنى ذلك انحراف كتابة التاريخ لهم عن الحقيقة ، أو خروجها عن الموضوعية ، وإنما معناها أن الحقائق الصامتة والأحداث المجردة لا تؤدى إلى ما ينبغى أن تهدف إليه كتابة التاريخ لقطاع الأطفال والشباب .

ولعل عدم إقبال أطفالنا على مطالعة ما بين أيديهم من كتب عن البطولات والأبطال ، سببه الأساسى أن هذه الكتب التى كتبت خصيصاً للأطفال لم تتنبه إلى

هذا الفارق الجوهرى بين كتابة القصة وكتابة التاريخ ، فأصبحت أقرب إلى جفاف التاريخ ، منها إلى حيوية وجمال وتشويق العمل القصصى الناضج .

حرية الكاتب فى اختيار الأحداث :

وما دام الهدف من تقديم الأبطال والبطولات إلى أطفالنا هو التربية وليس تعليم التاريخ ، فإن الكاتب لا يكونُ ملزَماً ، بالتالى ، بذكر كل الأحداث التاريخية المتعلقة بموضوعه ، ولا أن يذكرها بنفس تسلسلها التاريخى ، بشرط ألا يؤدى ذلك إلى تغيير جوهرى فى الحقيقة التاريخية . إن حرية الكاتب فى اختيار حدث أو أحداث محددة ، يدير حولها قصته ، هو عنصر من أهم عناصر نجاح العمل الفنى .

كما أن للكاتب حرية اختيار أحد التفسيرات المقبولة لواقعة معينة ، وليس لزاماً عليه أن يذكر كل وجهات النظر أو أن يناقشها . بل إن من حق الكاتب القصصى أن يأخذ الروايات الضعيفة ، مادام ذلك فى صالح إبراز القيم والاتجاهات التى يتوخاها فى موضوعه .

وله أن يبتدع ، فى مجال الدوافع النفسية ، وجهات نظر جديدة . ذلك أنه إذا كان المؤرخون قد اجتهدوا فى ذكر الوقائع وترتيبها ، فقلما كانوا يبحثون عن الدوافع النفسية ، لأن الوثائق لا تتضمنها عادة .

من حق الكاتب ابتداع الشخصيات والصور القصصية التى لا تتعارض مع التاريخ :

وما دمنا قد اخترنا أسلوب القصة كأفضل طريقة لتقديم البطولات القومية ، فإن من حق الكاتب أن يضيف إلى الشخصيات والأحداث التاريخية ، شخصيات

وأحداث جديدة ، ما دامت لا تخرج عن الإطار التاريخى للشخصية أو الحادثة .

ذلك أن الضرورات الفنية والروائية قلما تجد حاجتها فيما ذكره التاريخ من أحداث ووقائع . بل إن معظم المؤرخين ، على مدى التاريخ ، جعلوا محور اهتمامهم الملوك والأمراء والعظماء ، وما يتعلق بهم ، دون اكتراث كبير بما فعله أفراد الشعب العاديين ، خاصة إذا كانوا ثواراً أو مجددين . وإذا تناولوا حياة المصلحين أو القادة فإنهم كانوا يتناولونها من جوانبها العامة فقط ، دون نواحيها الخاصة ، التى تقربها إلى نفس الطفل ، وتمد القصاص بعناصر التشويق والحياة لعمله الفنى .

عدم التزام الكاتب بعرض السلبيات ومناقشتها :

وفى ضوء ما نهدف إليه من توجيه المراهق إلى بطل يتمثل به ، فإنه لا يعاون على تحقيق هذا الهدف أن نتناول فى عملنا الفنى سلبيات البطل ومواطن ضعفه ، وإلا أضعفنا بهذا ما نهدف إليه من وضع نموذج مثالى للسلوك أمام الطفل .

وإذا كان هناك من يقول إنه : « ليس من حق كاتب التراجم أن يغفر لمن يترجم له ضعفاً فيغطيه ، لأن الأثر الوجدانى يزداد فى نفوسنا – وبالتالى يغرينا بمحاكاته – إذا جاءت الصورة بشرية لا ملائكية ، وفى كل صورة بشرية مافيها من قوة وضعف » .

فإن هذا الرأى ، إذا صح بالنسبة لمن يكتب تراجمه للكبار ، فإنه يتعارض مع الهدف الذى ننشده من تقديم تراجم الأبطال والبطولات للأطفال ، لتكون مثالا وقدوة ونموذجاً لهم فى سلوكهم وقيمهم وأخلاقهم .

الترجمة من لغات أجنبية فى مجال قصص البطولات :

كما أنه ، لما كان كل مجتمع يبنى ثقافة صغاره على النحو الذى يحقق مصالحه وأهدافه ، ووجهات نظره الخاصة فى مختلف نواحى الحياة ، فلابد أن نحذر حذراً شديداً عندما نترجم من لغات أخرى قصصاً عن البطولات أو الأبطال . فكل أمة تصيغ هذه القصص لتضمنها قيماً أو أخلاقيات أو أساليب سلوك مرغوبة لأطفالها ، الذين يعيشون فى إطار مواضعات سياسية وفكرية وأخلاقية وروحية معينة ، وبالتالى فإن كل أمة تهدف إلى تمجيد تاريخها وانتصاراتها وبطولاتها ، بالأسلوب الذى يؤكد قيمها هى ، بما يمكن أن يؤدى ، عند تقديم تلك القصص – دون تعديل – إلى أطفال شعوب أخرى ، إلى إحساس هؤلاء بالدونية أو العجز أو التخلف ، أو اعتناقهم قيماً أو أساليب سلوك تتعارض مع أهداف أمتهم وأمنها وسلامتها .

الرسوم المصاحبة للنص :

ولما كانت الرسوم تعتبر عنصرًا أساسيًا فى كتب الأطفال ، ولما كان الناشرون قد تنبهوا إلى أنه ما دمنا نعتبر القصة الموجهة للأطفال عملا فنيًا وليست درسا فى التاريخ أو العلوم ، فإن الرسوم التى تصاحب قصص الأطفال ، يجب ألا تكون هى الأخرى دروسًا فى تاريخ الأزياء أو العمارة أو أساليب المعيشة ، بل أن تكون أعمالا تحبب الأطفال فى الكتاب وتربطهم به .

لكن ، لما كنا هنا بصدد قصص تدور حول البطولات القومية ، فإن الإيحاء بالجو الذى عاش فيه البطل ، أو الذى وقعت فيه الأحداث ، أمر يساعد كثيراً خيال الطفل على تمثل حقيقة وقوع تلك الأحداث ، وهو ما يعينه على بعث

الأحداث حية نابضة أمام عينيه .

وإذا كان للمصور حرية ابتكار ملامح الأبطال والعلماء والمفكرين الذين لم يحتفظ لنا التاريخ بصور لهم ، فإن المصور لابد أن يتقيد بالصور الشخصية لمن سجلت ريشة الرسام أو عدسة المصور وجوههم وملامحهم ، وإن ظلت للفنان حريته فى اختيار صورة البطل فى مرحلة معينة من حياته ، بحيث تكون الصورة أكثر تأثيرًا وانسجاماً مع الأحداث التى اختارها الكاتب محورًا لقصته .

بعض القيم التى يهمنا أن نبرزها من خلال قصص بطولاتنا القومية :

ولعل من أهم القيم التى يمكن أن نقدمها لأطفالنا من خلال قصص الأبطال والبطولات ، التأكيد على أن العظمة الحقيقية هى فى القدرة على تحمل المسئولية الاجتماعية بنجاح ، مهما صادف الإنسان فى ذلك من صعوبات أو مشاق أو جحود . وقدرة الأبطال على مواجهة القوى الخارجية التى جابهتهم ، فى صلابة وإيمان بالأهداف ، دون يأس أو ضعف . وتذكير الأطفال بما قدمته أمتهم للحضارة والإنسانية من علم وفن ودفاع عن الحياة ، وهو ما يؤثر تأثيراً قويًا وفعالا على مبلغ اعتزاز الطفل بقومه ، وزيادة وعى الأطفال بالأبطال الذين قادوا بلده فى مواقفها الصعبة ، وأنقذوها من محنها ، وعملوا لإخراجها من مراحل التخلف والهزيمة ، والذين ضحوا فى سبيل مثل هذه الأهداف بكل راحة أو متعة أو كسب ، وهو ما يثير الرغبة لدى الأطفال فى خدمة وطنهم والتضحية فى سبيله بكل شىء .

كما أن تقديم البطولات يجب أن يهدف إلى زيادة قدرة الأطفال على الإفادة من الماضى فى تأمل الحاضر وتطويره ، والسعى إلى مستقبل أفضل ، بحيث ينمو وعى الأطفال القومى ، مما يجعلهم أقدر على الاستجابة لمشكلات وطنهم وآماله ،

كما ينمى قدرتهم على المشاركة فى مختلف جوانب حياة أمتهم ، فإنه بقدر ما يعطى الإنسان من جهد فى حاضره يكون مستقبله ، والمستقبل الأفضل يعنى مزيدًا من الجهد من جانب أبناء الأمة فى حياتهم الحاضرة .

لقد شوه الاستعمار كثيراً من صور أبطالنا وتاريخنا ، وحاول تأكيد كثير من المفاهيم الهابطة التى عطلت حياتنا زمناً طويلاً ، وعلينا ، عن طريق تقديم مختلف بطولاتنا القومية لأطفالنا ، أن نمحو تلك الصور ، ونبث بدلا منها مفاهيم الجرأة والإقدام ، وتحمل المسئولية ، والعمل الدائم للخير العام .

رسوم كتب الأطفال

الأطفال والرسوم :

عندما يقول طفل فى الثالثة إنه يقرأ ، فمعنى هذا أنه يتأمل صورة فى كتاب ، ويعتبر عملية التطلع إلى الصورة « قراءة » . إنه يردد أسماء الأشياء التى فى الصور ، أو يقلد أصوات ما بها من حيوانات .

وفى سن الرابعة ، تصدر عن الطفل تعليقات تدل على المشاركة الوجدانية لما فى الصور : « مسكين الولد . وقع على الأرض . . لا تبك . . » ويخلق من الصور أصدقاء له ، يستمدهم من الشخصيات المرسومة فى الكتب التى ربما لا تتضمن أية كلمات .

وحتى سن السابعة ، تأخذ الكلمات القليلة المكتوبة بحروف كبيرة ، حيزاً صغيراً بجوار الصور ، يقرؤها الكبير للصغير ، أو يتعلم الصغير قراءتها عندما يبلغ السادسة

أو السابعة ، لكن تظل الصورة هى البطل الحقيقى لكتب الأطفال .

إن كتب الأطفال تتميز باعتمادها الرئيسى على الرسوم البسيطة الملونة الواضحة ، والتى تقوم بدور أساسى فى جذب اهتمام الطفل ، وفى تنمية تذوقه الفنى . ذلك أن حصيلة الأطفال اللغوية ، لا تمكنهم من قراءة الموضوعات التى نقدمها إليهم بالكلمات ، فى حين ينتقل المعنى من خلال الصورة للأطفال فى كل الأعمار ، مهما اختلفت اللغات أو اللهجات .

إن الكلمة المكتوبة تستدعى بعض الجهد لقراءتها وفهمها ، فى الوقت الذى لا تستدعى فيه الصورة ذلك ، لأن الطفل يجد المتعة فى التطلع إلى الصورة ، مع سهولة فهمها ، وطول فترة التأثر بها ، لأنها تخاطب بصر الطفل وعقله وخياله ، كما تناسب اعتماد الأطفال على البصر فى التعرف على العالم المحيط بهم .

إن الرسوم ليست مجرد عنصر من عناصر إخراج الكتاب ، بل هى مادة حية ، لها قيمتها الجمالية والثقافية الكبيرة ، وقد تفوق المادة المكتوبة فى تأثيرها فى بعض الأحيان ، خاصة فى قدرتها على توضيح كثير من الوقائع والمفاهيم .

إن الأطفال لا يفهمون المجردات ، وكلما كانت تربية الطفل عن طريق حواسه قوية ، كان تعليمه عن طريق المجردات ، فيما بعد ، أسهل وأقرب إلى النجاح .

وعبر مسيرة الإنسان الطويلة ، ظلت الرسوم أداة للتعبير . واعتبر شيشرون (١٠٦ ق . م – ٣٤ ق . م) أن للرسوم أهمية كبرى فى الاتصال ، لأنها تساعد على تذكر المجردات . وقال سينكا : (٤ ق . م – ٦٥ م) إن الناس يصدقون الرؤية أكثر من تصديقهم الكلام .

وما أعظم وقع الصورة فى نفس الطفل ، وما أعمق أثرها على صفحة مخيلته البالغة الصفاء . . صورة تعكس الحياة من حوله ، لذلك يعلق علماء التربية الأهمية القصوى على دور الصورة فى تكوين وتثقيف الطفل ، فلا عجب أن تهتم

دور النشر بالجانب الفنى فى كتاب الطفل ، فتنفق عليه بسخاء ، وتستعين له بأكبر الفنانين وألمعهم اسماً.

إن هناك رأيًا عامًّا على اتساع العالم كله ، يرى أن تأثير الصور فى كتب الأطفال المصورة أمر لا يمكن التقليل من أهميته.

فبالنسبة للطفل الصغير ، فإن التعرف على الأشياء والأشخاص فى كتاب مصور ، تعنى السعادة والإحساس بالتفوق فى نفس الوقت ، كما تقوم أيضاً بإثراء معرفة الطفل ، وقدراته على التخيل.

وقبل سن المدرسة الابتدائية ، وفى السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية ، فإن الكتب المصورة تمكن الطفل من تطوير وتنمية حاسته النقدية ، وتعاونه فى التغلب على الصراعات الداخلية ، كما أنها وسيلة مثالية لحفز وإثارة وتنبيه التفكير الخلاق ، وحب الكتب.

إن اصطلاحات « جيد » أو « فنى » تشير إلى القوة الخلاقة ، والصدق ، والأصالة ، التى يهدف المصورون المجيدون إلى إبرازها من خلال كتب الأطفال.

وعلى وجه الخصوص ، فإنه فى الوقت الذى تنمو فيه وسائل الاتصال البصرية ، يجب أن ينال الطفل الفرصة ليزداد إحساسه رهافة تجاه أشكال الرسم والصور ، وذلك حتى نزيل الأثر السيئ للمطبوعات التى ، بدلا من أن تهدف إلى التربية ، تهدف فقط إلى أغراض تجارية.

الفنان الذى يرسم :

إن الفنان الذى يرسم كتب الأطفال ، لابد أن يفكر بالصورة ، وهو نفس أسلوب تفكير الأطفال قبل سن الثامنة ، لذلك فإننا نجد كثيراً من كتب الأطفال التى تفوز بجوائز عالمية ، قد رسمها فنانون هم أنفسهم الذين كتبوا نص القصة ،

وبذلك استطاعوا أن يضعوا الكلمة فى خدمة الصورة ، وليس العكس .

إن الفنانين الذين ينجحون فى رسم كتب الأطفال ، لابد أن يكتسبوا خبرة واسعة وعميقة فى عالم الطفل ، وأن يعايشوا خيال الأطفال ، وأن يتصوروا الحياة من وجهة نظر الأطفال ، وبأسلوب الأطفال فى التصور والتخيل .

يقول الفنان يوسف فرنسيس فى دراسة له حول « الطفل والخيال » :
لاحظت خلال الفترة التى قمت فيها بكتابة ورسم « مغامرات سندباد » ، صعوبة ومسئولية الكتابة والرسم للأطفال بشكل أسبوعى . واكتشفت خطورة النفوذ إلى خيال الطفل . إن هذا الباب المفتوح ، والصلة الوثيقة بين المغامرة المرسومة وخيال الطفل ، تستطيع أن تجعل هذا الخيال ينمو ، أو ينحرف . . وهذا الكاتب أو الرسام يحاول أن يستلهم من نفسه الخيط الدقيق الذى يمسكه . إلى أن مرت سنوات ، واكتشفت خطورة هذه القضية » .

الرسوم وإثارة الخيال :

« فأمام ٩٠ ألف زائر من أنحاء العالم ، فى أخطر مؤتمر عالمى للكتاب أقيم فى مدينة نيس بفرنسا ، وبحضور ٢٠٠٠ ناشر و١٢٥ صحفيًا من أطراف الدنيا ، ووسط ٦٠ ألف كتاب بين قصة وشعر وأدب رحلات ، أعلنت قضية فكرية خطيرة . . مرض عصرى يصيب أطفال العالم : « إن خيال الطفل يمرض ! » خيال الأطفال قد مرض ، ولابد له من علاج سريع . سبب المرض معروف . . تأثير الإعلانات ، وحلقات التليفزيون ، ومغامرات الكومكس . . فكيف يمكن إنقاذه ؟ ! الطفل هو أملنا فى حياة أفضل ، وخياله هو المستقبل ! »

بهذا المنطق ، وقف الناشر الشاب فرانسوا فيدال ، يحدثنى بمعرض الكتاب الدولى فى نيس . .

وبهذا المنطق أيضاً ، نال الجائزة الأولى على ٢٠ دولة و ٢٠٠٠ ناشر و ٦٠,٠٠٠ كتاب « بالقط سامبولا » الذى يعتبر أجرأ قفزة خطتها مكتبة الطفل للمستقبل !

إذ لأول مرة سيجد الطفل بين يديه قصة كل موقف فيها معاد بالرسم ثلاث مرات ، كل مرة بريشة رسام مختلف (! !) برنارد بولهوم . . موريس أرنبيه . . ونيكول كلانلو . .

ويقول فيدال : أطفال اليوم هم رجال المستقبل . . وتشكيل خيالهم ، وتربية أذواقهم ، معناه التأثير على الجيل القادم كله . . وعندما وجدت نفسى فى مكان المسئولية ، أردت أن أرجع إلى قرائى أنفسهم ، إلى الأطفال ، أسألهم ما يريدونه . . لم أكن أتصور أن أطفال اليوم فى هذا الذكاء . لقد ضاقوا من سذاجة الكتب التى نطلق عليها كتب الأطفال . واجتمعتُ بمجموعات متعددة منهم أكثر من مرة ، وسجلت آراءهم ، وخرجت فى النهاية بنتيجة تكاد تكون مشتركة . . فمعظم الأطفال قالوا لى : « نحن لا نريد أن تحددوا لنا خيالنا ! » وكان الطلب غريبا ، معناه العملى أن أطبع كتباً صفحاتها بيضاء ، وأترك لخيال الطفل أن يرسم ما يشاء ! . . ولكن أخيرًا سألت نفسى : لماذا لا أقدم للطفل قصة مرسومة بأكثر من أسلوب ، ومن خلال الرسوم المقدمة يستطيع هو أن يستخلص بخياله من كل ما يراه ، الصورة القريبة من نفسه ؟ ! وبرغم أن الفكرة قوبلت بالسخرية ، فإننى دفعت بها إلى حيز التنفيذ ، وها هى ذى النتيجة أمامك . . ! بدأ العالم كله يقلدها ، وأنا سعيد بذلك . . أن أستطيع تغيير ذوق الأطفال إلى الأحسن ، وأطلق خيالهم ليختار ما يشاء .

تابعت مغامرات « القط » وهو على القمر بريشة الرسامين الثلاثة ، وسألت

فيدال : لقد وجدت لغة جديدة للشكل . هل وجدت أيضًا لغة جديدة للمضمون . . ؟

أجاب : « بالنسبة للطفل ، فالشكل هو الأساس . . إنه يدخل إلى الموضوع من نافذة الرسم » .

إن الرسم يعين خيال الطفل على الانطلاق ، ويشكل صور ذهنية عن المواقف والأفكار ، لذلك فإن الرسوم التى يرسمها رسامون مبتدئون ، أو غير متخصصين فى الرسم للأطفال ، أو مجرد رسامين مهرة يفتقدون إلى الروح والذوق الفنى ، كل هؤلاء يمكن أن يؤثروا تأثيرًا سلبيًا فى ذهن الطفل وخياله ، لأنهم يحبسون خيال الطفل فى آفاق محدودة .

ويقول الفنان حسين بيكار فى مقال له حول « كتب الأطفال وأغلفتها » :

كما كان كتاب الطفل قبل المحاولات الرائدة للأستاذ كامل كيلانى ضحية لترفع الكتاب والأدباء عن اقتحام عالم الطفل البرىء ، فلم يقبل أحد منهم التنازل للهبوط إلى مستواه ، يناجيه مناجاة الأب لابنه ، ويكتب له ، فتأخر تبعاً لذلك ازدهار كتاب الطفل وأدب الطفل فى المكتبة العربية ، كذلك كان الحال بالنسبة للفنانين التشكيليين ، الذين كانوا يعتقدون أن ملامسة الريشة لغير اللوحة امتهان لقداسة الفن ، وإهدار لكرامته ، وحط لمنزلته ، فما بالك بإنزالها إلى مستوى الأطفال ! !

وربما كان للعامل الاقتصادى دور فى تخلف الكتاب العربى عن ملاحقة زميله فى الخارج .

فالناشر يخشى إذا ارتفع سعر الكتاب نتيجة لما تتكلفه العناية بمظهره الفنى ، أن لا يسد نفقاته ولا يعود عليه بالربح ، فى حين أنه لو أضفى عليه لمسة فن أو لمحة من ذوق لتغير الحال ، ولعاد بالنفع على النشء والناشر ، وعلى المجتمع على السواء .

موضوع الرسوم :

ولا شك أن الموضوع الذى يكتبه الكاتب هو الذى يحدد موضوع رسوم كتابه .

ذلك أن أهم هدف من رسوم كتب الأطفال ، أن تُقرِّب وتوضح مفهوم الكتاب ، وتعكس فكره ومضمونه .

لذلك فإن الواجب الأول لمصور كتب الأطفال ، أن يعرف جيدًا نص الكتاب . ولا يمكن لمصور ممتاز أن يخطئ فى تصوير الكتاب ، فيرسم شَعْرًا أشقر بدلا من الأسود ، أو قمصاناً بدلا من المعاطف .

وهذه قاعدة تنطبق بوضوح على المرحلة التى يوجد فيها نص مقروء بجوار الرسوم التى يضعها الرسام .

لكن فى المرحلة قبل سن السادسة ، فإن الصورة تكون لها الصدارة ، وهو ما يحتاج إلى بعض التفصيل .

فمن بداية الشهر الخامس عشر من عمر الطفل ، يحب الأطفال تأمل الصور الزاهية الألوان ، للأشياء البسيطة المألوفة فى محيطهم ، مثل المقعد والملعقة والقطة والكلب .

ومن بداية الشهر الثامن عشر ، يحب الطفل مشاهدة صور الأشياء المألوفة له ، وأيضاً صور الأشياء غير المألوفة له ، مثل الحيوانات التى لن يراها إلا فى سن أكبر فى حديقة الحيوانات ، مثل الزرافة أو الحمار الوحشى .

ويفضل فى هذه المرحلة أن تكون الصور للأشياء وهى فى حالة ساكنة ، وأبعد ما تكون عن الحركة ، مثل كرة ساكنة ، أو بطة لا تتحرك . فلا تتضمن الكتب مثلا ، صورة قط يلعب بالكرة ، ولا صورة بطة تأكل حبوباً ، ذلك أن القدرة

على فهم الصور لا تزال فى أولى مراحلها .

ويلجأ بعض الفنانين ، مثل الفنان الهولندى « ديك برونا » – بالإضافة إلى حرصه على أن تظل شخوصه ساكنة – إلى جعل شخوصه تنظر إلى المشاهد دائما ، متجنباً رسم أى وجه فى وضع جانبى .

إن الذين يُخْرجون الصحف يدركون أن غلاف المجلة الذى يحتوى وجهاً كبيرًا ينظر مباشرة إلى المارة ، يبيع أكثر .

وفى معظم البلاد الآن ، ينظر من يقرءون نشرة الأخبار فى التليفزيون مباشرة إلى عيون المشاهدين ، وهم يفعلون ذلك لأنهم يدركون ما للصلة المباشرة بالعين من أثر فى جذب الانتباه .

أما بعد تمام عامين من عمر الطفل إلى ثلاث سنوات ، فإن الطفل يجب أن يرى شيئاً يحدث فى كل صورة . مثلا : ولد يلعب بالكرة ، أو بنت تعطى البطلة حبوباً ، وبعد هذه السن ، فإن الحركة والحيوية تحببان الصور إلى الأطفال .

ويحب الطفل التكرار فى كل صورة . أى يحب أن يجد شيئاً يعرفه يتكرر فى كل الصور ، أكثر مما يحب الصور التى يربطها موضوع واحد ، ولكن تخلو من التكرار .

وفى هذه السن ، وحتى سن الخامسة ، يفضل الأطفال صور الناس والحيوانات ، أكثر مما يحبون الموضوعات غير الحية .

كما يحب الأطفال رؤية الرسوم التى بها أطفال مثلهم .

وبعد العام الثالث إلى ثلاثة أعوام ونصف ، يمكن للرسوم الواضحة أن تسرد قصة بسيطة جدا . إن الطفل يبدأ فى اكتساب القدرة على تفسير الصور ، كما يمكن أن يعيد سرد القصص البسيطة من واقع رسومها .

وبعد الرابعة وإلى الخامسة ، يحب الطفل الصور الهزلية والخيالية . كما يفضل

الصور المتقنة الرسم ، مع بساطة الخطوط والألوان الزاهية .

وبعد الخامسة ، تكون الرسوم مرتبطة بموضوع الكتاب ، معبرة عنه ، وذلك طبقاً لاحتياجات الأطفال فى مختلف الأعمار .

البساطة والوضوح :

إن قراءة الصور ليست عملية سهلة فى كل الأحوال ، وكثيراً من الصور يقف الكبار أمامها حيارى لفترة غير قصيرة ، لأن الصورة فى حد ذاتها ليست الشىء ذاته بل هى تمثيل للشىء .

لذا وجب أن تكون الصورة المقدمة للطفل بسيطة ، واضحة ، خالية من التعقيد والتفاصيل المربكة ، وذلك حتى تتناسب مع خبرات الطفل ومعلوماته وقدراته .

إن فهم الرسوم يرتبط بسن وخبرة الطفل نفسه ، شأنه فى ذلك شأن اللغة اللفظية ، بل يسمى البعض الرسوم « لغة غير لفظية » . إن الرسوم ، باعتبارها عناصر بصرية ، تعتمد على نمو حاسة البصر ، كما تعتمد على نمو قدرات الطفل العقلية عموماً .

لذلك فإنه كلما صغر سن الطفل ، وجب الإقلال إلى أقصى حد ممكن من تفاصيل الرسوم المقدمة إليه ، مع الاهتمام بوضوحها الشديد ، ذلك أن كثرة التفاصيل ، أو الإعتام أو الغموض فى بعض جوانب الصورة ، يربك الطفل ، ويشتّت اهتمامه ، ويؤدى به إلى صعوبة الفهم ، ثم ينتهى به إلى الانصراف عن الكتاب .

فبالنسبة للسن الصغيرة جدًّا ، يجب أن نقدم الرسوم فى وحدات مكبرة ، شبه منفصلة عن غيرها ، مع إبرازها بأقل تفاصيل ممكنة ، وهو ما يمكن أن نسميه

« اللقطة المُقرّبة » .

إن بساطة المفهوم والخط واللون ، أشياء ضرورية لهذه المرحلة . ولا يجب أن تكون هناك مبالغات أو صراع عاطفى ، مع تجنب أى تعقيد ، ذلك حتى يمكن فهم مضمون الصور بلمحة واحدة .

إن البساطة التامة للرسوم هى المميز الهام لرسوم كتب هذه المرحلة . وفى الظاهر قد يبدو أنه لا تربطها بالواقع إلاّ أقل العلاقات ، ولكن جاذبيتها تكمن فى أن هذه العلاقات القليلة لا تزال تحتوى على الخصائص الأساسية للواقع . إنها ربما لا تكون الواقع ، ولكنها تبسيط وتمثيل للواقع .

إنها تتميز بالوضوح والصراحة والمباشرة الطفلية . إنّ فنانَ كتبِ صغار الأطفال يبحث عن الوضوح قبل كل شىء .

إن أحد المعايير لقياس درجة الوضوح والبساطة فى الصورة ، هو عدد الثوانى المطلوبة لكى يحيط الطفل بكل شىء فى الصورة . فكلما قل عدد الثوانى اللازمة ليحيط الطفل بما تدل عليه الصورة ، كانت الصورة أنجح فى بساطتها .

وبعد أربع أو خمس سنوات ، يمكن استخدام « اللقطة المتوسطة » حيث يمكن إظهار عدد قليل من الأشياء وأجزاء الأشياء فى الصورة ، على أن تكون واضحة وتفاصيلها معقولة . إن الوضوح والبساطة والمباشرة من الأشياء المرغوب فيها فى هذه المرحلة . ويظل الأطفال فى هذه المرحلة أيضاً يفضلون الصور الكبيرة ، التى تشغل الصفحة كلها .

وبعد سن الثامنة أو التاسعة يمكن استخدام « اللقطات العامة » ، التى تشمل الكثير من الأشياء ومن التفاصيل . ولكن حتى فى هذه السن ، لا يجب الإسراف فى استخدام هذه اللقطات العامة ، بل يجب أن يتضمن الكتاب عدداً معقولا منها ، مع الاهتمام باللقطات المتوسطة والمقربة .

إننا فى كتب الأطفال ، يجب أن نعتمد أساساً – كلما كانت موجهة إلى صغار السن – على الرسوم الكبيرة التى تملأ الصفحة ، وكلما تقدم السن الذى نقدم له الكتاب ، أمكن إستخدام رسوم تتكون من عدد قليل من الأشياء المكبرة ، مع خلفيات فى غاية البساطة . وفى السن الأكبر ، يمكن أن يشمل تكوين الرسم مختلف الأشياء . وهذه قواعد تفرضها ضرورة مساعدة الطفل على التركيز ، بحيث لا نشغله بالتفاصيل ، ولكى نجنبه الإثارة وتشتت الانتباه .

لكل هذا فإنه بالنسبة للأطفال أقل من ٨ سنوات ، يجب عدم استخدام الصور الفوتوغرافية ، وذلك لأنها ، من ناحية ، حافلة بالتفاصيل ، ولأنها ، من ناحية أخرى ، تحتوى على جميع الألوان ودرجاتها ، وهو ما يربك الطفل ، ويجعله غير قادر على فهم الصورة .

الأسلوب :

ومن أهم المبادئ التى يلتزمها الفنان الذى يرسم كتب الأطفال ، أن يهدف إلى إبراز فكرة الكتاب . وأكثر ما يساعده على ذلك أن يستخدم فى رسومه أساليب واقعية ، مع تجنب الأساليب المجردة .

ومعنى الأساليب الواقعية أنها تعبر عن العالم المحيط بالطفل بطريقة مفهومة ليؤدى الكتاب وظيفته حتى يفهمه الطفل .

وليس معنى هذا أن الفوتوغرافية مطلوبة ، بالعكس : فإنها غير مطلوبة والمطلوب هو الخيال والابتكار والأشكال الجديدة . فالأسلوب الذى يناسب الكتب التاريخية والدينية والعلمية والرياضية غير الأسلوب الذى يصلح للأساطير الخيالية والشعبية وهما يغايران الأسلوب الذى يناسب الحكايات الفكاهية .

ولكن فى كل هذا ، يظل معيار نجاح رسوم الكتاب ، هو وضوحها ، أى

سرعة فهم الطفل لما تدل عليه ، فإن أنجح الكتب مع الأطفال هى ما كانت رسومها ذات أشكال واقعية أو قريبة من الواقع .

إن حب التجريب قد يستغرق الفنان أحياناً ، فيحاول استخدام أساليبه الفنية البعيدة عن البساطة والوضوح ، ولكن الكتب التى يرسمها مثل هذا الفنان ، قد تكون جيدة من ناحية سمعة الفنان التشكيلية وقد تلاقى نجاحًا بين الأدباء الذين يتذوقون أساليب الفن المتنوعة ، لكنها ربما لا تكون ملائمة لحاجات الأطفال . ذلك أنه لابد من دراسة حاجات الأطفال حتى تلائم أساليب رسم كتبهم هذه الحاجات ، وأهم هذه الحاجات هو الحاجة إلى الوضوح والبساطة والفهم بغير أن نضحى بالقيم الجمالية .

إن كتب الأطفال تُطْبَعُ للأطفال ، ولا تُطبع للفنانين ولا لأصدقاء الفنانين ، إن كتب الأطفال لا تُقدم لجمهور المعارض ، بل للآلاف من الأطفال العاديين .

وليس معنى هذا أننا ضد الأساليب الجديدة المبتكرة ، ولكن فى حدود أن تعكس الموضوع نفسه .

إن أفراد المجتمع الذين يشترون كتاب الطفل أو يرفضونه يفرضون كلمتهم ، سواء أراد الفنان هذا أو لم يرده ، أو لم يحس بذلك .

إن الرسوم فى كتب الأطفال ، يجب قبل كل شىء ، أن تساعد على أن تجعل القراءة أكثر سهولة .

الألوان :

وقد لوحظ بالتجربة أن أكثر الألوان استحواذًا على اهتمام الأطفال صغار السن وجذبًا لأبصارهم ، هى الألوان الأساسية الثلاث : الأصفر والأزرق والأحمر ، بشرط أن تكون زاهية . لذلك يجب أن يكون لهذه الألوان الأساسية الثلاثة

النصيب الأكبر فى الرسوم المقدمة للأطفال صغار السن ، دون أن نمزج بينها ، وبغير أن نستخدم أية ظلال أو تدرجات من اللون الواحد ، وذلك حتى لا يرتبك الطفل الصغير أو ينفر من الصورة .

وهذه قاعدة يجب التزامها فى كل ما نقدمه للأطفال الصغار ، سواء كان كتابًا أو مجلة أو مسرحية أو فيلمًا ، وهو أمر نلاحظه بوضوح ، وبتركيز شديد ، فى أفلام الكارتون الأجنبية الموجهة إلى الأطفال .

ويحسن أن تكون مساحات الألوان مفصولة عن بعضها ، كأن تحيط بكل مساحة خطوط سوداء تحدّد حافات تلك المساحة .

وأن يُستخدم فى تلوين كل مساحة لونًا واحدًا صافيًا غير مختلط بأية ألوان أخرى .

إن العديد من أطفال الرابعة بل حتى الخامسة لا يستطيعون الربط بين اللون واسمه الصحيح ، لذلك فإن الكتب التى ترسم بهذه الألوان الواضحة ، بالإضافة إلى أنها تلبى حاجات الأطفال ، تلبى أيضاً حاجة الآباء والمدرسين والمشرفين ، وذلك لتعليم أطفالهم كيف يستخدمون أسماء الألوان استخدامًا صحيحًا .

ولكن بعد سن الرابعة أو الخامسة يمكن أن نضيف إلى الألوان الأساسية الثلاث ألواناً أخرى ، مثل الأخضر والبرتقالى . وبعد سن السابعة يمكن أن نستخدم أيضاً عدة درجات من اللون الواحد ، ولكن بحذر .

وبعد تسع سنوات أو عشر ، يمكن استخدام كل الألوان ودرجاتها المختلفة ، لذلك فإنه فى هذه المرحلة ، يمكن أيضاً استخدام الصور الفوتغرافية الملونة .

ويلاحظ أنه إذا كان صغار الأطفال يفضلون الألوان الزاهية ، فإنهم كلما تقدموا فى العمر ، يميلون إلى الألوان الباهتة .

كذلك فإنه من أهم المبادئ التى يلتزمها الفنان الذى يرسم كتب الأطفال أن

رسومه من ناحية التلوين والتكوين يجب أن تنمى فى الطفل إحساسه الفنى وتذوقه الجمالى .

حدود استخدام الألوان :

لكن يلاحظ أنه ، وإن كانت الألوان ضرورية ، ولا يمكن الاستغناء عنها فى الكتب الموجهة إلى الأطفال قبل السادسة ، فإنه فى المرحلة من السادسة إلى التاسعة تقل أهمية اللون . ويمكن الاكتفاء فى هذه المرحلة ، برسوم ذات لونين أو بلون واحد ، وإن ظل أطفال هذه السن يستمتعون بالألوان . إنّ هناك كثيرًا من الفنانين قد حققوا نتائج مدهشة باستخدام لونين فقط ، وهو أمر أقل تكلفة بكثير من استخدام أربعة ألوان .

إن وجود الصور على كل صفحة من صفحات الكتب الموجهة لهذه السن ضرورى للمحافظة على حماس الأطفال لمواصلة القراءة ، ولكنها يمكن أن تكون صورًا بالأسود والأبيض فقط أو بلونين .

أما فى المرحلة بعد التاسعة أو العاشرة ، فيمكن الاقتصار على الرسوم التخطيطية البسيطة ، فالأطفال فى هذه المرحلة ، لا يكونون فى حاجة إلى كثير من الصور الملونة أو غير الملونة مثلما كانوا فى السن الصغيرة . إنهم طبعًا سيرحبون بالرسوم الملونة ويتذوقونها ، لكنها لم تعد أساسية فى حفزهم على القراءة .

روح المرح :

والرسوم ، مع وضوحها وبساطتها وقربها من الواقع ، وخلوها من التفاصيل ، يجب أن يشيع فيها روح المرح . فالأطفال لا يتحملون من الحياة جانبها المؤلم أو المعتم بل يبحثون دائماً عن الجانب المضىء والمرح ، وهو أمر لابد من مراعاته حتى فى

رسم الموضوعات المحزنة أو المؤلمة .

ولكن يجب التنبه إلى أن نجاح كتب الأطفال لا يكون بقدر ما تثير من ضحك بل بقدر ما تترك فى نفس الطفل من أثر إيجابى .

ولكن ضرورة تقديم الرسوم بأسلوب فيه قدر كافٍ من المرح أو الطرافة هو شرط أساسى لتَقبّل الأطفال ما يقدم لهم من رسوم ، مع مراعاة أن تجىء الفكاهة نابعة من نفس الموضوع ، وألاّ تجىء مقحمة عليه .

إن الأطفال يقفون موقفاً مرحاً من الحياة . إنهم يواجهون الحياة بسعادة وإيجابية ، وعلى رسوم كتب الأطفال أن تحرص على مشاركة الأطفال هذا الإحساس ، مع الحرص فى نفس الوقت على ألا ينقلب عنصر المرح إلى جعل العمل الفنى نوعًا من التهريج بقصد الإضحاك ، وإلاّ انصرف الطفل عن تأمل العمل الفنى ، إلى البحث عن الرسوم المثيرة للضحك ، وبذلك نفقد طريقنا السليم مع الأطفال .

العلاقة بين مساحات الرسوم ومساحات النص المكتوب :

ومن الضرورى وضع الرسوم فى أماكنها المناسبة على الصفحات بحيث تشكل الرسوم مع المادة المكتوبة وحدة فنية متكاملة ، من خلال الترابط الوثيق بينهما .

ويهتم الناشرون حاليًا بأن تكون كل صفحة من صفحات الكتب الموجهة للأطفال قبل سن التاسعة محتوية على أحد الرسوم ، وذلك للمحافظة على حماس الأطفال للاستمرار فى القراءة . ذلك أنه من الخطأ تركيز الصور فى مكان واحد وترك فصول أو صفحات طويلة من الكتاب بغير صور . كما يهتمون بعدم فصل مساحة الصور عن مساحة الكلمات ، بحيث يتكون منهما وحدة فنية وثيقة .

وبالنسبة لكتب المرحلة الابتدائية لا يجب أن تطغى الرسوم على المادة المكتوبة كما هو الحال فى كتب المسلسلات الهزلية « الكومكس » والتى تحصر خيال الأطفال فى آفاق محدودة ، وتجعلهم باحثين عن الإثارة بدلا من الاستمتاع بالخيال ، كما تنفرهم من القراءة الجادة ، وتجعلهم باحثين عن القراءة السهلة . ذلك أن الرسوم والمسلسلات الهزلية لا تستلزم فى العادة سوى قراءة كلمات قليلة قد تكون غير ذات معنى ، فى حين تقدم الرسوم كل الوقائع والأحداث وهو ما يمكن أن يؤدى إلى إضعاف قدرة الأطفال القرائية .

نسبة مساحة الرسوم إلى المساحة الكلية للصفحة :

وفى مرحلة ما قبل المدرسة ، لا تحتوى الكتب إلاَّ على الرسوم ، ويضاف إليها أحياناً كلمات قليلة تشرح الصورة أو القصة لتعاون الآباء على الحديث عنها أو سردها للأطفال .

وفى كتب بداية تعلُّم القراءة ، يخصص للكتابة ما لا يزيد عن ٢٠٪ من الصفحة والباقى للرسوم ، على أن يكون عدد الكلمات قليلا جدًّا وحجمها كبيرًا جدًّا .

ثم تأخذ المساحة المخصصة للكتابة فى الزيادة ، إلى أن تتوازى مع المساحة المخصصة للرسوم فى السن من الثامنة إلى التاسعة ، بحيث يتعاونان فى إعطاء المعنى الكلى للموضوع .

ثم تزداد المساحة المخصصة للنص ، فى حين تتقلص المساحة المخصصة للرسوم ، إلى أن تصبح الرسوم ، فى الكتب الأدبية والقصصية ، مقصورة على شغل مساحة لا تزيد على ١٥ أو ١٠٪ من مساحة الصفحات فى الكتب الموجهة إلى سن الخامسة عشرة ، وذلك لتتناسب مع مستوى التحصيل اللغوى للطفل ،

ولإشباع فضوله إلى المعرفة والعلم ، ولأنه أصبح يتطلع إلى أن تكون كتبه غير مصورة مثل كتب الكبار . أما الكتب العلمية ، أو كتب المعلومات ، فيمكن أن تزيد المساحة المخصصة للرسوم على هذه النسب .

هل يرسم الأطفال كتبهم ؟

هناك رأى يقول بأن نترك للأطفال رسم صور كتبهم .

وقد أُجْرِيَتْ بعض التجارب النادرة فى هذا المجال ، لكنها لم تستمر .

والواقع أن هذا الرأى يتجاهل تفرقة أساسية ومهمة فى مختلف مجالات ثقافة الأطفال . فهناك دائماً ما يقوم به الأطفال ، كنوع من اللعب أو التعبير أو التنفيس ، سواء كان رسمًا أو تمثيلا أو أغنية أو رقصة ، وهناك فى الجانب الآخر ، ما يقدمه الفنانون الراشدون للأطفال فى كتبهم وأفلامهم وأغنياتهم وموسيقاهم وبرامجهم فى الإذاعة والتليفزيون .

وما يقوم به الأطفال ضرورى لنموهم فى مختلف النواحى ، أما ما يقدمه الكبار للأطفال فهو ضرورى ليكون وسيلة لصقل تذوق الصغار للفنون ، ولتعليمهم وتربيتهم .

إن ما يقدمه الأطفال هو أمر خاص بكل طفل ، وليس مقصودًا به أن يكون وسيلة تواصل مع الأطفال الآخرين .

أما ما يقدمه الكبار للأطفال ، فهو فن مقصود به أن يصل إلى أكبر عدد من الأطفال . يقول فيكتور لونيفلد فى كتابه (طفلك وفنه) : « الطفل يعبر فى فنه عن عالمه هو بوسائله الخاصة ، فمارى تختلف عن سميحة ، وكلاهما يختلف عن فريد . وإذا لم يطلب منهم الكبار أن ينتجوا رسماً جميلا ، فلن يخطر ذلك ببالهم » .

ويقول الدكتور حمدى خميس فى كتابه (طرق تدريس الفنون) : « إن

الرسم بالنسبة للطفل لغة ، أى نوع من التعبير ، أكثر من كونه وسيلة لخلق شىء جميل . وإن الطفل فى السنوات الأولى يرسم وجهة نظره فى الأشياء ، ولا يرسم ما يراه » .

كما يقول الدكتور محمود البسيونى فى كتابه (سيكلوجية رسوم الأطفال) : « الإيجاز الشكلى ظاهرة ملاحظة فى نمو الفرد ، فهو يمر فى أثناء نموه بخبرات متعددة ، ولكى يستفيد من هذه الخبرات بسهولة واقتصاد عندما يواجه مواقف جديدة مشابهة ، نجده يلخص هذه الخبرات فى أشكال موجزة أشبه بالرموز ، وهذه الملخصات الرمزية قد أطلق عليها علماء النفس الذين درسوا رسوم الأطفال الموجزات الشكلية أو ظاهرة الإيجاز الشكلى » .

ويقول : « إن أنواع الموجزات الشكلية التى يستخدمها الأطفال فى تعبيراتهم لها صبغة فردية ، أى أننا إذا طلبنا على سبيل المثال ، من فصل مكون من أربعين تلميذاً ، رسم أى موضوع ، كالتعبير عن حيوان مثلا ، فإننا حتماً سنحصل على أربعين صورة لهذا الحيوان ، ولكل صورة فرديتها ، هذا إذا كان النمو يسير بخطى طبيعية » .

« والواقع أن أنواع الموجزات الشكلية تشبه بصمات الأصابع ، التى لها فرديتها فى حالة كل إنسان . فالإيجاز الشكلى الذى يستخدمه فرد معين يميز هذا الفرد ويعبر عن شخصيته » .

ويقول هربرت ريد فى كتابه (التربية عن طريق الفن) : « الطفل (الفنان) يستخدم فى الوقت الواحد لرسم نفس الموضوع الواحد أسلوبين مختلفين : أحدهما للإرضاء الشخصى لمزاجه . والآخر لإرضاء غيره من الناس » .

كل هذا يؤكد الصيغة الفردية الخاصة لتعبير كل طفل عن نفسه بالرسوم ، وهو ما يجعل هذه الرسوم غير صالحة لأن توضع فى الكتب التى نقدمها إلى مختلف

الأطفال الآخرين ، لأنهم ربما لايفهمونها .

إن القواعد التربوية تقرر أنه من الخطأ أن نتحدث مع الطفل بنفس طريقته فى نطق الكلمات ، بل لابد أن ننطق له الكلمات نطقاً سليماً ، حتى يتعلم هذا النطق السليم ، فنحن لا ننتهره ولا نسخر منه لنطقه الذى يناسب مرحلته العمرية ، لكننا نقدم له النطق السليم ، لنساعده على النمو فى الطريق السليم .

ولابد أن نفعل نفس الشىء فى مجال الرسم ، فلا نقدم لطفل رسوم الأطفال الآخرين ، التى هى رموز تعبر عن فرديتهم الخاصة فى طور محدد من أطوار تطور رسومهم ، بل لابد أن نقدم فى كتب الأطفال رسوماً يمكن أن يفهمها كل الأطفال ، وأن تساعد على نمو تذوقهم للفن .

ولكن ليس معنى هذا ألا نستفيد من رسوم الأطفال ونحن نرسم لهم . فإن من أهم أدوات من يرسم للأطفال أن تكون لديه مجموعات كبيرة من رسوم الأطفال فى مختلف أعمارهم ، ليدرك من خلالها كيف يرى الأطفال الألوان والأشكال والعالم .

إن الأطفال يؤكدون فى رسومهم على الأجزاء الهامة ، ويتجهون إلى تبسيط الواقع مع تضخيم ما يهمهم منه ، ويستخدمون الألوان للمتعة وليس بقصد مشابهة الطبيعة . . وغير هذا من خصائص رسوم الأطفال التى يمكن أن يستفيد بها من يرسم لهم .

لكن الفنان لا يعد فناناً إلاَّ إذا استطاع أن يصل بفنه إلى أكبر عدد من أفراد الجمهور الذى يتوجه إليه ، وهو أمر لا يقصده الأطفال ولا يقدرون عليه .

* * *

إن كتب الأطفال ، إذا كانت جيدة الإخراج ، ممتازة التصوير ، متفقة مع

حاجات الأطفال ، قد تكلف كثيرًا ، لكنها أيضًا ستجد إقبالا كبيرًا ، لما تتيحه للطفل من متعة وتعليم ، وتنمية لتذوق الفنون ، وحفز على حب الكتب ، وتشجيع على الاستمرار فى القراءة .

إن كتابًا مصورًا جيد التصوير ، جدير بكل الجهود التى تبذل فى سبيله .

المكتبة وتنمية عادة القراءة

لا شك أن وجود مكتبة على مقربة من الطفل ، هو من أهم الوسائل التى تعاون على تنمية حب القراءة لديه .

إن عرض الكتب أمام الأطفال باستمرار ، خاصة فى مكتبة الفصل ، يخلق بينهم وبينها ألفة مستمرة ومودة متزايدة ، مما يشجعهم على إنشاء مكتبات خاصة لهم فى منازلهم على غرار هذه المكتبة .

كما أن وجود المكتبات قريبًا من الطفل ، سيجعل عملية حصوله على الكتاب ، سواء بالاستعارة الداخلية أو الخارجية أمرًا سهلا ، سواء من ناحية التكلفة أو المشقة .

فكثير من الأطفال لا تسمح لهم إمكاناتهم المادية أن يقتنوا – لا هم ولا أسرهم – مجموعات من الكتب المناسبة لأعمارهم ، تتناول مختلف نواحى اهتمامات الطفل .

كذلك فإن كثيرًا من الأطفال يعيشون فى مدن صغيرة أو قرى لا تصل إليها أية كتب ، لا فى المكتبات ولا مع باعة الصحف الذين لا يوجدون إلا فى المدن الكبيرة نسبيًا . وهؤلاء الأطفال بالتالى معزولون عن عملية التعرف المستمرة على الكتب . فهم محرومون من إمكانية الاختيار والاقتناء ، حتى لو أرادوا أو استطاعوا .

لذلك فإن المكتبات أصبحت من أهم وسائل التثقيف ، وهى فى نفس الوقت من أسهل هذه الوسائل وجودًا . والأمر يحتم علينا الاهتمام بنشر مكتبات الأطفال على أوسع نطاق ، فى كل حى وفى كل قرية ، بل فى كل شارع إذا أمكن . لكن مكتبات المدارس ستظل تشكل أهم نوعيات المكتبات بالنسبة لأطفالنا .

القراءة عامل هام داخل المدرسة وخارجها :

ذلك أننا إذا فحصنا قائمة المواد الدراسية فى أى مدرسة من المدارس ، سنجد أن القراءة شىء لا غنى عنه فى كل فرقة ، ابتداء من الصف الأول حتى الجامعة . وهى ضرورية كذلك فى كل مادة دراسية ، ابتداء من مادة الحساب والرياضة ، حتى علم الكيمياء أو الحيوان .

كذلك تشكل القراءة بالنسبة للبالغين مهارة لا غنى عنها فى البيت أو الوظيفة ، فى دنيا التجارة أو عالم المهن أو الصناعات .

وينبغى ألا نخلط بين القراءة كفن ، والقراءة كعملية آلية نتعرف فيها على الحروف والكلمات . فالكتاب مثله مثل أشياء أخرى كثيرة ، ليس إلا مجرد وسيلة إلى غاية نسعى إليها . فربما لا تكون القراءة أكثر من عملية تسلية وترويح عن النفس ، أو قد تكون مصدراً للمعلومات عن طريق القراءة السريعة ، مثل مطالعة الصحف ، أو قد تكون مصدرًا للتعليم والتعلّم ، والتعبير عما نتعلمه ، وعندما

نتحدث عن الكتب والمكتبات ، يجب أن ينصرف اهتمامنا أساسًا إلى هذا النوع الأخير من القراءة المنتجة .

إن القراءة كفن ، تقتضى ممن يمارسونها قدرة زائدة على أن يقرءوا بتمييز ، وبعقل مدرك باحث . قراءة تجعل العقل يستجيب استجابة دقيقة واعية واضحة لتأثير الكلام المطبوع ، والسبيل إلى خلق مجتمع من القراء من هذا النوع ، لابد أن يبدأ من الأطفال .

إن كل طفل ينبغى أن تتاح له فرصة الاحتكاك بالكتب ، وأن يقرأ لكى يتعرف على شىء من الخبرات التى يعبر عنها الأدب ، ولكى يتصل بحياة الآخرين ويعيشها بخياله ، ولكى يكتسب مجموعة من القيم تجعله يقف فى ثبات فى العالم الأوسع الذى ينبغى أن يعيش فيه ، ولكى يستمتع ، بالإضافة إلى كل ما سبق ، بما هو مكتوب .

واقع الأطفال اليوم من الكتب :

ومع ذلك فهناك أطفال كثيرون يتركون المدرسة فى الوقت الحاضر ، ويحتمل أنهم لن يفتحوا كتابًا ، لا من أجل المتعة ، ولا لأى هدف آخر . فعملهم ربما لا يستلزم منهم أن يفعلوا ذلك . وعندما ينتهون من عملهم ، يجدون أمامهم ألوانًا من التسلية ربما لا يشعرون معها بحاجة إلى الاستمتاع بالقراءة . ومن هؤلاء من نشأ فى بيوت خالية من الكتب ، ولعلهم لم يروا آباءهم وأمهاتهم يقرءون قط ، أو لم يقرءوا غير الصحف ، ومن أجل هذا نراهم لا يقرءون كتابًا للمتعة ، ولا يمارسون هواية تقتضيهم الرجوع إلى كتاب .

وبوجه عام ، فقد أصبحت قدرة أطفالنا وشبابنا على التعبير عن الذات غير كافية وغير دقيقة ، بل فَقَدَ معظمهم القدرة على هذا التعبير .

مسئولية أجهزة الإعلام :

وهناك تفسير أساسى لهذا التدهور فى مستوى التعبير ، هو عدم ميل الشباب إلى القراءة . إن الأطفال والشباب لا يُقبلون على القراءة ، أو هم فى الواقع لا يقرءون ، وذلك أمر متوقع ، ماداموا يقعون ، يومًا بعد يوم ، تحت رحمة أجهزة الراديو والتليفزيون والمسجلات والأفلام السينمائية والمطبوعات الهزلية .

إن معظم البضاعة التى تقدمها وسائل الإعلام الجماهيرية هذه تدور حول الحركة : المغامرة - الإثارة - الرعب - الخطر - القوة - الجنس ! وكل هذه لا تتطلب من المتلقى أى جهد ، ولا يحتاج فهمها إلى قدرة خاصة ، ولا تتبعها امتحانات ، كما أن الحصول عليها سهل وميسور .

وإذا تحدثنا بشىء من التخصيص ، فكثير من المجلات الهزلية مكتوبة بلغة ركيكة ، وقلما تحتوى على معلومات ذات قيمة . وفى السينما يشاهد الأطفال كثيرًا من الأفلام المثيرة التافهة ، ذات الموضوعات الممسوخة ، التى لا تتفق ومرحلة النمو التى يمرون بها . كذلك يمكن توجيه نقد مشابه لكثير من برامج الإذاعة والتليفزيون . وهذه قضايا يثور حولها جدل كثير ، فهناك رأى له وزنه لا يعتبر وسائل الإعلام مسئولة وحدها عن هذا التدهور فى مستوى التعبير ، وفى عدم الإقبال على القراءة .

مسئولية الواقع الاجتماعى لكثير من الأطفال :

ذلك أنه ، فى الوقت الحالى ، يأتى معظم التلاميذ للمدارس من قطاعات تعتبر من أكثر القطاعات الاجتماعية تعرضًا للحرمان ، حيث لا تتجاوز معظم ثقافتهم « الحواديت » و « الحكايات الشعبية » . ولم تألف هذه القطاعات الفقيرة

الكلمة المكتوبة أيًا كان نوعها . إنها قطاعات ترتع فيها الأمية منذ قرون مضت ، خاصة فى البيئة الزراعية .

هذا فى حين أن عادة القراءة ، وتذوق ما يُقرأ ، يكتسبها أطفال الأسر الذين يحيطهم آباؤهم منذ الصغر بالكتب والمطبوعات ، ويُنَمُّون فيهم ، منذ الطفولة المبكرة ، كثيرًا من الاتجاهات نحو الكتب .

إن القول بأن معظم الأطفال الذين يفدون من البيئات الفقيرة لا يحبون القراءة ، لا ينبغى النظر إليه على أنه تقليل من شأنهم ، لكنه اعتراف بسيط بالحقائق . فإذا كان هؤلاء الأطفال لا يقرءون ، وإذا كانوا لا يحبون القراءة ولا يُقبلون عليها ، فذلك لأن بيئتهم التى شبَّوا فيها لم تشجعهم على القراءة ولم تزودهم بما يقرءون .

مسئولية المدرسة :

وبغض النظر عن قصور الخلفية الاجتماعية ، فإن المدرسة بوجه عام ، لا تقدم العون الكافى لمعظم تلاميذها لكى يحبوا الكتب ، ويقبلوا على القراءة . إن من أهم واجبات المدرسة والمدرسين إثارة الرغبة عند الأطفال فى القراءة . وهذا يتضمن إثارة الميل عند التلاميذ للقراءة ، عن طريق إعدادهم نفسيًّا للترحيب بالكتب والمطالعة ، ولكى يشعروا برغبة إيجابية نحوهما .

إن معظم الأطفال يقرءون بمجرد أن يستطيعوا القراءة . وما على المعلم إلا أن يهيئ لهم الكتب الملائمة ، ويجعلها فى متناولهم . وكثير من الأطفال الذين يمكن أن يشغفوا من تلقاء أنفسهم بالقراءة ، سوف يفعلون ذلك لو تلقوا العون فى الوقت المناسب . وكثير من الأطفال الذين لا يقرءون من تلقاء أنفسهم ، إنما يكون ذلك بسبب أن المدرس أو المدرسة لم تعطهم الدوافع اللازمة لذلك .

إننا إذا كنا ننشئ المدارس الابتدائية فى كل مكان ، فإن هذه المدارس لن تؤدى مهمتها على الوجه الأكمل ، ما لم يتوفر لتلاميذها خدمة مكتبية ، تعينهم على النهوض برسالة المدرسة ، التى لم تعد مقصورة على التعليم ، إنما تتعداه إلى التثقيف .

وإذا أخذنا فى افتتاح المكتبات ، فإن عليها أن تتخذ من الوسائل والطرق ما تراه كفيلا بازدياد استخدام الأفراد لكتبها .

وإن لمكتبة المدرسة شخصيتها المميزة ، فإنها لا تتعامل فقط مع الأطفال الذين لديهم شغف بالقراءة ، ولكنها تتعامل كذلك مع الأطفال الذين يقرءون بصعوبة .

وليس هناك غرض من الأغراض التعليمية أهم من توجيه الأطفال إلى الكتب ، حتى تنشأ بين الاطفال منذ حداثتهم وبين الكتب ، صلة دائمة سعيدة ، وليست مهمة الوالدين أو المدرسين مقصورة على تعليم الأطفال كيف يقرءون ، بل الأهم من ذلك ، جذبهم إلى القراءة .

ولا أهمية لكثرة ما يُنشر من كتب للأطفال ، ما لم يصل إلى أيدى الطفل .

وتواجه الآباء والمعلمين اليوم مسألة من أهم المسائل ، هى كيف يجمعون بين عالم الأطفال وعالم الكتب ، فالكتب تكلف نقودًا ، ولا يستطيع شراء الكثير منها إلا عدد قليل من الأطفال . وكثير من الأسر تعيش بعيدًا عن مكتبات بيع الكتب ، أوبعيدًا عن المكتبة العامة ، فلا تستطيع إفادة أطفالها لا عن طريق الشراء ولا عن طريق الاستعارة .

هذا فى حين أن أهم عامل فى تكوين الاهتمام بالكتب ، وتنمية عادة القراءة ، هو سهولة الوصول إلى الكتب . والطفل الذى يجد صعوبة فى الحصول على الكتب ، لن يقرأ إلا القليل ، وبذلك تبقى ميادين خبرته بالقراءة واهتمامه بها محدودة .

أما الطفل الذى يكون له اتصال دائم بالكتب القيمة ، فقد تهيأت له الفرصة لأن يجد فى القراءة وسيلة من أهم وسائل النمو ، واكتساب المعرفة ، والترويح عن النفس .

ومتى أصبحت القراءة عادة ، فإن الألفة مع الكتب تؤدى إلى ذلك النمط من المشاركة الذى قال عنه (هنرى ميلر) إنه « عندما ينتقى الإنسان كتابًا ، يأمل أن يجد فيه صديقًا يدخل قلبه ، ويتجاوب معه » .

إننا عندما نقرأ ، نمر بكثير من الخبرات التى نتهيب أن نخبرها بأنفسنا ، هذه القراءات تجعلنا نحلق فى عالم هو مزيج من الفكر والأحلام ، فتصبح حياتنا أكثر ثراء وبهجة . وقد نتوصل من خلال هذه القراءات إلى أسلوب فى الحياة ، يجعلنا أكثر قدرة على مواجهة المشكلات التى تعترضنا .

المكتبة وعادة القراءة :

وتنمية عادة القراءة لابد أن تبدأ فى البيت ، منذ السنوات الأولى فى حياة الطفل . ومن الوسائل الهامة التى تلجأ إليها الأسرة لتنمية علاقة أطفالها بالكتب ، هى أن تنشئ لهم مكتبة خاصة ، يحفظون فيها كتبهم ، فتشجع فيهم الفخر بامتلاك الكتب ، كما تعودهم كيف يحافظون على الكتاب وكيف يعاملونه باحترام . إن مكتبة الناشئ فى البيت قد تكون صغيرة ، وقد تكون عبارة عن رف واحد أو صندوق واحد ، لكنها ملك له ، تساهم فى تكوين كثير من اتجاهاته نحو الكتاب .

فإذا انتقلنا إلى المدرسة الابتدائية ، فإن كثيرًا من الأطفال الملتحقين بها لن يجدوا لهم موردًا غير المدرسة يحصلون منها على الكتب بانتظام ، لهذا ينبغى أن يكون لكل مدرسة مهما كان حجمها ، مكتبة خاصة ، أو مجموعة من الكتب

تُستخدم فى غرف الدراسة .

فإذا وُجدت المكتبة ، فإن علينا أن نجعل منها وسيلة تربوية ، تعاون على تخريج شباب أسوياء الشخصية ، متطلعين إلى المعرفة .

إن أهم أهداف المكتبة هو جذب الأطفال لاستخدام ما بها من كتب ، خاصة هؤلاء الذين لم تتح لهم بيئاتهم أو أسرهم أن يتزودوا بالخبرات اللازمة للاستعداد أو التهيؤ للقراءة ، وهذا يقتضى من المكتبة أن تتوفر فيها بعض الاعتبارات الهامة ، وأن تلجأ إلى أساليب وطرق متعددة ، تجذب الأطفال إلى الكتاب ، وتحبب إليهم المطالعة .

كتاب جذاب :

وفى المكان الأول ، إذا رغبنا أن يقرأ أطفالنا ما تحتويه مكتباتهم من كتب ، فيجب أن نقدم لهم الكتاب ذا المظهر الجذاب .

لقد صدر فى إنجلترا فى سنة ١٩٣٨ ، تقرير تربوى عن استخدام الكتب ، يقرر أنه عندما سُئل ٣٠٨٠ تلميذًا : « لماذا يختارون الكتب التى يختارونها من المكتبة العامة ؟ » أجاب ٥٠٨ منهم أنهم يختارونها : « لأن مظهر الكتاب يجذبهم » .

وهذه هى قوة الجاذبية للطفل تجاه كتاب يبدو جميل المظهر .

إن هناك طبعًا اختلافات فى الشكل بالنسبة للكتب التى تقدم لمختلف الأعمار ، لكن بوجه عام ، فإن الكتاب الذى يبدو مظهره جميلا طريفًا ، سيجذب الطفل .

لذلك يجب أن يتأكد أمين المكتبة أن الكتب التى فى مكتبته نظيفة سليمة ، أنيقة جميلة . وعليه أن يعيد تجليد الكتب التى تفككت أو على الأقل يعيد تغطيتها

بورق نظيف ملون .

كذلك يجب عليه تجنب تجليد كتب الأطفال بالأغلفة قاتمة اللون مهما كانت متينة .

كتب لكل الأعمار ولكل الاحتياجات :

ولا يكفى أن يكون الكتاب جذاباً ، بل يجب أن يكون مناسبًا فى موضوعه وألفاظه ورسومه لعمر الطفل الذى سيقرؤه . فكثيرًا ما ينصرف الأطفال عن قراءة كتاب جذاب إما لأنه لايناسب إلا سنًّا أصغر من سنهم ، أو لأنه موجه لعمر أكبر من عمرهم . وتوجيه الطفل إلى الكتاب الذى يناسب عمره ، توجيهًا حكيمًا دقيقاً ، هو أحد المهام الأساسية لأمين المكتبة ، أو مدرس الفصل . إن اكتساب القدرة على اختيار الكتاب المناسب أمر يحتاج إلى خبرة لا يكتسبها الإنسان إلاَّ فى سن متقدمة إلى حدٍّ ما . وإذا تركنا الطفل يتخبط حائرًا فى أثناء بحثه عن الكتاب الذى يناسبه ، فقد يصرفه هذا عن التعامل مستقبلا مع المكتبة .

كذلك يجب أن تواجه الكتب التى فى المكتبة مختلف اهتمامات الأطفال واحتياجاتهم ، فلا تكون مقصورة مثلا على القصص الأدبية والخيالية ، بل لابد أن تحتوى أيضًا على القصص العلمية والتاريخية والجغرافية ، وعلى كتب المعلومات ، ودوائر المعارف والقواميس والأطالس الجغرافية ، وذلك حتى يمكن أن تلبى كل احتياجات الأطفال من المادة المقروءة .

وإذا كان بعض الأطفال يقصرون قراءتهم كلها على ميدان واحد ، فمن واجب المدرس أو أمين المكتبة أن يبذل ما فى وسعه كى يدفع كل طفل إلى أن يقرأ فى أكبر عدد من ميادين القراءة المناسبة للأطفال . ومن الأوفق أحيانًا ترتيب الكتب على الرفوف طبقًا لموضوعاتها ، وأن تتنوع الوسائل الجذابة لتلفت اهتمام الأطفال إلى

الكتب ذات الموضوعات التى لا تثير اهتماماتهم عادة ، وأن تنظم الكتب تنظيمًا يسهل على الأطفال الوصول إليها .

مكان جذاب :

فإذا حصلنا على كتب جذابة ، لكل الأعمار ولكل الاحتياجات ، فلابد من إعداد مكان جذاب ، يقرأ فيه الأطفال هذه الكتب .

إن المكتبة ، كما يقول « كارنيجى » : « أعظم بكثير من مجرد مجموعة من الكتب » .

إن المكتبة يجب أن يكون لها جو عناصره : الهدوء – السعة – الجلال – الجمال .

إن المكتبة يجب أن يكون جوها منزليًا مريحًا ، وألاّ يوحى هذا الجو بالفصل المدرسى . ويحسن أن يتكون أثاثها من مقاعد تتحرك كما يحب الأطفال ، ويمكن أن تتخذ الشكل الذى نراه مناسبًا لطبيعة النشاط الذى يقوم به الأطفال فى المكتبة .

كما يجب تزويد حجرة المكتبة بشاشات عرض ، وفانوس سحرى ، وجهاز تسجيل ، مع تزيينها بكثير من الصور والرسوم التى تجذب الطفل ، وتجعله يألف المكان ويحبه .

مواعيد مناسبة :

ويحسن أن تستمر المكتبة مفتوحة فى فترات معينة فى غير أوقات الدراسة ، والأفضل أن نسمح باستعمال المكتبة فى جميع الأيام ، ومعظم ساعات النهار ، وبذلك تتهيأ للقراء فرص متكررة للقراءة . إن هذا سيؤثر تأثيرًا قويًا ، يشعر معه التلاميذ أنهم فى منازلهم . وإذا أمكن فتح المكتبة فى أيام العطلات الأسبوعية ،

فإن هذا يؤكد شعور الأطفال بالحرية فى ارتياد المكتبة . ويمكن الاستفادة بهذه الساعات التى تفتح فيها المكتبة فى غير أوقات الدراسة فى القيام بأنشطة لاجتذاب الأطفال إلى المكتبة ، تتضمن قراءة القصص ، أو أداء التمثيليات ، أو تقديم القصص بالدُّمى أو بشرائح الفانوس السحرى ، أو عرض الأفلام ، أو إقامة المعارض .

ولكن ، فى نفس الوقت ، يجب تخصيص فترات فسيحة كافية للقراءة الصامتة ، بشرط أن يقوم المدرس أو أمين المكتبة بدور إيجابى فى هذا المجال ، فيسأل الطفل القارئ أسئلة بين حين وآخر حول ما يقرأ ، أو يطلب منه الحديث إلى زملائه عما قرأ ، أو أن يكتب موضوعاً لصحيفة الحائط عنه .

احترام الكتب :

وبالنسبة للأطفال الذين لم يتزودوا بالخبرة المنزلية فى علاقتهم بالكتب ، لابد أن نرشدهم ، منذ بداية ارتيادهم للمكتبة ، إلى وسائل العناية بالكتب ، وكيفية استخدامها والمحافظة عليها .

يجب إرشادهم مثلا إلى عدم ثنى الصفحات ، وإلى عدم استخدام أدوات سميكة مثل المساطر كعلامة للصفحة التى وصلوا إليها فى قراءتهم ، وإلى توصيتهم بعدم الكتابة على الكتب ، أو تركها مقلوبة .

إن الأطفال يحتاجون إلى التنبيه والمعاونة فى حفظ الكتب منذ الوقت الذين يبدءون فيه استعمالها . فالأطفال الصغار قد يعتبرون الكتب مجرد لعب ، أما تلاميذ رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ، فسرعان ما يتعلمون أن الكتب تختلف عن ألعابهم ، ولابد أن نعلمهم كيف يقلبون صفحاتها وكيف يحددون مكان صفحة

ما ، ولابد أن نبين لهم لماذا يجب الاهتمام بنظافة الأيدى وقت استعمال الكتب ، ولماذا تكون إعادة الكتب إلى أماكنها الصحيحة أمرًا حسنًا .

تقديم الكتب للأطفال :

ولعل خير طريقة لتقديم الكتب للأطفال ، هى الطريقة غير المباشرة . إن على المدرس أن يتحدث باستمرار فى دروسه كلها ، عن الكتب ، مشيرًا إلى شخصيات فيها ، ومناظر يمكن أن توجد بها ، وأن يرشدهم إلى هذه الكتب التى تحدث عنها .

إن التقديم غير المباشر المستمر للكتب بمثل هذه الطريقة ، هو أحسن الطرق الفعالة لتقريب الأطفال إلى الأدب الموجه إليهم .

إن مناقشة الكتب ، والقراءة الجهرية ، والدرس الجماعى للكتب ، ومختلف أساليب النشاط التى تدور حول الكتب ، كل هذا سيساعد الطفل الذى يبدى ميلا طبيعيًا تجاه الكتب ، على أن يتجه باهتمامه إليها ، مما ينمى فيه ميلا حقيقيًا نحو القراءة .

ومن الوسائل التى تساعد على إثارة الرغبة فى القراءة ، إعداد قوائم كتب للقراءة الحرة ، تشتمل على أسماء لبعض الكتب وتعريف بها ، كما تتضمن أسئلة تدور حول موضوع الكتب . ويمكن أن تكون الإجابة عن هذه الأسئلة كتابة ، أو على شكل مناظرة عامة يحضرها عدد قليل أو كثير من التلاميذ .

كذلك يمكن عقد اجتماعات دورية يقدم فيها المدرس - أو أحد التلاميذ - حديثًا عن كتاب أو قصة ، أو عرضًا لموضوع أحد الكتب بشرائح الفانوس السحرى ، أو الإعلان عن الكتب عن طريق لوحات العرض ، أو التعريف بالكتب فى الصحيفة المدرسية ، أو إبراز الكتب التى تم تقديم موضوعاتها أو قصصها فى السينما أو التليفزيون أو الراديو .

إن إثارة الاهتمام المسبق بموضوعات الكتب ، من أهم الوسائل التى تحفز الأطفال لأن يبحثوا عن الكتب وأن يقرءوها باهتمام .

إننا بهذا نستخدم الوسائل السمعية والبصرية التى تعتبر فى العادة عاملا يثبط همة الشباب عن القراءة ، كوسيلة لإثارة التأمل والبحث والمناقشة وتبادل الرأى بين التلاميذ ، وهو ما يؤدى إلى دفعهم نحو القراءة فى مجالات جديدة ، لمواصلة التفكير والمناقشة والبحث .

فإذا عرضت السينما المحلية فيلمًا مثل دعاء الكروان لطه حسين ، أو زقاق المدق لنجيب محفوظ ، فلابد أن نضع الكتب الأدبية الأصلية تحت بصر رواد المكتبة ، وأن نطلب من بعضهم إعداد بيانات عن حياة المؤلف وبقية كتبه ، وإجراء مناظرة أو مناقشة مثلا ، فى الفرق بين الفيلم والكتاب الأصلى .

وإذا قامت المدرسة بزيارة لمسرح لمشاهدة إحدى المسرحيات ، فيمكن تقديم كتب مبسطة عن التمثيل والإنتاج المسرحى وتاريخ المسرح .

ويمكن استخدام نفس هذه الأساليب مع التمثيليات الإذاعية ، أو بعض المسلسلات التى تقدم فى التليفزيون .

كذلك يمكن البحث عن الهوايات المفضلة عند التلاميذ ، سواء كانت هذه الهواية هى طراز الملابس عند الفتاة ، أو المصارعة وكرة القدم عند الفتى ، ثم إعطاء الطفل مادة القراءة الملائمة لهوايته .

إن على المربى أن يخلق الرغبة فى الاستعلام ، مستعينًا بالهوايات والأفلام والمادة الإذاعية والتليفزيونية .. وهذه الرغبة فى الاستعلام ستخلق بدورها الحاجة إلى القراءة .

وهذا الربط الدائم بين الكتاب وما يعايشه الطفل فى حياته ، سيطبع فى عقول

الأطفال أفكارًا لن تزول حول فائدة الكتب لمواجهة مختلف الأغراض العملية فى الحياة .

إقامة المعارض :

وجزء جوهرى من عمل المكتبة هو إقامة المعارض ، فالمعرض يمكن أن يُستخدم لعرض محتويات المكتبة التى ربما لا تكون ظاهرة طالما هى فى أماكنها على الرفوف . كما أن المعارض يمكن أن تساعد غير المتحمسين للقراءة على إعطائهم لمحة عن موضوع قد يصبح معه التلميذ قلقًا ، فيسعى ليكتشف شيئًا عنه عن طريق المطالعة .

إن عرض الكتب بعناية وبأسلوب جذاب ، طريقة من أحسن الطرق لزيادة ما يقرؤه الأفراد بمحض اختيارهم .

مجلة الحائط :

ولمجلة الحائط أكثر من شكل . فهناك المجلة التى يكتبها الأطفال بأنفسهم ، والتى تعتمد على المواد التى يقدمونها هم ، من خبرتهم الخاصة ، وبلغتهم وألفاظهم . وهذه من أهم الوسائل لتقوية قدرة الأطفال على التعبير عن أنفسهم .

وهناك صحيفة الحائط التى يمكن تقديمها يوميًا من قصاصات صحف الصباح أو المجلات الأسبوعية . فصحيفتان أو ثلاث من صحف الصباح يمكن غالبًا الحصول عليها بلا مقابل من أعضاء هيئة التدريس . ويمكن لأحد أعضاء هيئة التدريس أن يحدد المقالات والصور ، فى حين يقوم عدد من الأطفال الذين يحضرون مبكرين بتعليق المقالات والصور بدبابيس فى اللوحة المعدة لذلك ، وهى لوحة يمكن وضعها فى أى مكان رئيسى موفور الإضاءة .

الدوريات :

ومن عناصر الجذب للمكتبة ، تزويدها ببعض الدوريات الجيدة . فالطفل مثله فى هذا مثل البالغ ، يُقبل على قراءة المجلات والصحف بشغف واهتمام ، ولابد من تعريف الطفل بالجيد من الدوريات والصحف ، فإنَّ تشجيع قراءتها يضارع فى أهميته تعريف الأطفال الصغار بالكتب الجيدة .

ويذهب بعض المربين إلى القول بأن المجلات تشجع التلاميذ على قراءة الكتب ، والاهتمام بالهوايات والشغف بالأمور الجارية . لكنْ هناك آخرون يقولون إن الدوريات تجعل الطفل يضيع وقته بتركيز اهتمامه طول الوقت على الصور .

فكرة المشروع :

ولتشجيع القراءة ، يمكن أن يقوم التلاميذ بعمل « مشروع » .

ويمكن تقسيم المشروعات إلى ثلاثة أنواع :

أولا : أن يتخلى الفصل كله أو المدرسة بأجمعها – لفترة ما – عن جدولها الدراسى ، وتخصص نفسها لمشروع طموح تدرس فيه موضوعًا معينًا ، وتجمع عنه المعلومات ، مع نبذ أساليب الفصل الرسمية كلية . ومثل هذه المشروعات تبدأ وتنتهى فى المكتبة ، باعتبارها المكان الرئيسى لجمع المعلومات حول موضوع المشروع .

ثانيًا : يمكن تكليف مجموعة من التلاميذ بتتبع موضوع ما ، كأن نكلفهم بدراسة المواصلات فى فترة تاريخية معينة .

ثالثًا : هنالك أعمال يمكن التلاميذ أن يقوموا بها فُرادى أو فى جماعات

صغيرة . ومن الواضح أنه فى كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة للمشروعات ، يجب أن تلعب المكتبة دورًا أساسيًّا .

أندية القرّاء :

ونادى القرّاء منظمة يؤسسها الطلاب أو أعضاء نادى الأطفال بمحض اختيارهم ، فلا يشترك فيها إلاَّ الأطفال الذين يرغبون فعلا فى ذلك ، ويحسن أن يكونوا فى مستوى تعليمى واحد ، وفى مستوى واحد من العمر .

ويمكن تكوين هذه الأندية فى صورة جمعيات ، يرعاها المدرسون أو أمناء المكتبات ، ويمكن أن تتطور لتصبح أندية اجتماعية لمطالعة الأطفال ، يرعاها الآباء وتجتمع فى المنازل .

ويمكن الأطفال والمشرفون أن يبتكروا كثيرًا من الوسائل لأشكال النشاط فى هذه الأندية ، مثل القيام برحلات إلى أماكن أثرية أو متاحف ، ثم البحث عن معلومات حول موضوع الزيارة . أو عقد ندوات مكتبية فى يوم محدد من كل أسبوع ، يعرض فيها طفل أو عدد من الأطفال ملخصًا لكتاب أو قصة ثم يتلقون الأسئلة حول ذلك الكتاب ، أو إقامة المعارض أو صحف الحائط حول عدد من الكتب يدور حول موضوع معين .

وينبغى فى اجتماعات أندية القراءة تشجيع حرية الكلام لدى الأطفال ، كما ينبغى أن يشعر القراء بحريتهم فى ذكر أسباب كرههم لكتاب أو سبب إعجابهم بكتاب آخر . كما يجب إتاحة الفرص الكافية ليتبادل الأعضاء الرأى فيما قرءوا .

وينبغى أن تتاح للأطفال فرصة الإصغاء إلى قراءات من الكتب القيمة أو الأشعار ، ذلك أن تكرار الاستماع لأشعار وقصص يقرؤها شخص متمكن ، يُقَربها إلى نفوس الأطفال ، وينمى فيهم القدرة على التذوق .

كذلك يمكن تكليف الأطفال صغار السن القيام بأعمال يدوية بسيطة ، مثل الختم بخاتم المكتبة على المجلدات الجديدة ، ووضع الكتب فى أماكنها .

أما الأطفال الأكبر سنًّا ، فيمكنهم القيام بأعمال كتابية ، مثل عمل بطاقات الاستعارة ، وتتبع الكتب التى فات ميعاد إرجاعها .

ربط القراء بمختلف الأنشطة الفنية :

ومن أهم الوسائل لربط الأطفال بالمكتبة والقراءة ، أن نربط ما قرءوا بالرسم واللعب ، بالتمثيل وبالأغانى وبالموسيقى . فيرسمون موضوعات يختارونها من وحى الكتب التى طالعوها ، أو يؤلفون تمثيلية مستمدَّة مما قرءوه ، أو يقدمون بالعرائس أحد المشاهد التى أثارت اهتمامهم .

كذلك يجب تشجيع الأطفال على أن يضعوا أشياء من إنتاجهم فى غرفة المكتبة . فرسومهم يجب أن تكون على الجدران ، وصحف الحائط التى كتبوها تكون فى اللوحة المعدة لها ، أو يقوم الأطفال – الأكبر سنًّا – بمعاونة من هم أصغر منهم فى مختلف مجالات القراءة والاطلاع .

خلاصة :

إن هناك من يتصورون أن عملية نشر كتب الأطفال يجب أن ترتبط بارتفاع القوة الشرائية للأفراد ، لكن هذا غير صحيح ، فالمكتبة ستظل هى المصدر الأساسى لمعظم الأطفال فى الحصول على الكتب التى يحتاجون إليها . لكن المكتبة ليست رفوفًا أو مخزنًا للكتب ، بل هى نشاط دائم مستمر ، هدفه الأول جذب أعداد جديدة من القراء الصغار إلى عالم القراءة السحرى ، فلنفتح للأطفال مكتبات حيثما أمكن ذلك ، ولنوجه كل جهودنا نحو تحبيب القراءة إلى الأطفال عن طريق مختلف المكتبات منزلية ومدرسية أو مكتبة الحى . . .

فهرس

الصفحة

رقم الإيداع	٢٠٠٥/٥٨٣٨
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6792-9

١/٢٠٠٥/١٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)